
اجاثا كريستي
القاتل الغامض

أجاثا كريستي

- ☐ الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.
- ☐ بيع من كتبها أكثر من **650** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.
- ☐ كاتبة روايات بوليسية، ولدت في جنوب غرب إنجلترا من أب أميركي وأم إنجليزية، لكنها تقول " إني إنجليزية ". تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعاً. فرواياتها كبيرة متكاملة، فيها عشرات الشخصيات الحيَّة التي يشعر بها الإنسان دائماً. لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصيَّة في الرواية، كما تميَّزت أيضاً بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. إنّها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضا أهدافاً إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ثمن النسخة

لبنان	3000 ل. ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل. س.	مسقط	1,5 ريال
الأردن	1,5 دينار	مصر	10 جنيه
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1,5 دينار	اليمن	400 ريال

DAR MUSIC FOR PRESS, PRINTING, PUBLISHING & DISTRIBUTION, S.A.R.L. JOUNIEH-LEBANON
ISBN 9953-38-201-8
9 789953 382012

القاتل الغامض

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرَّبة

القاتل الغامض

(68)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

المركز الدولي

للصحافة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب **374** جونيه - لبنان

تلفون **00 961 9 212 666** فاكس **00 961 9 212 665**

البريد الإلكتروني info@darmusic.net

www.darmusic.net

قام بعون الله الأستاذان / **محمد عبد المرضي عبد الصادق - محمد حافظ السيد**

مشكورين بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية.

الغلاف بريشة الفنان

سمير غصن

- 1 -

ظل الشاب قابعا في مقعده بجانب النافذة بعد غروب الشمس بوقت طويل، وقد بدت عليه سمات الهم والاكتئاب .

وكان له وجه نحيف دقيق العظام يكسوه الاصفرار ويتوجه شعر ذهبي مشعث لم تمسسه يد الترجيل والتنسيق ، وفي عينيه العميقتين مظاهر الرزانة والجد .

أما الغرفة فقد محت يد الدهر رونقها ، فتعرت من نقوشها وزخارفها ، ورث أثاثها وعبث به البلى . ولم يشذ عن هذه القاعدة سوى صورة رائعة معلقة فوق الموقد العتيق ، لا تخفى قيمتها حتى على أقل الناس دراية بثمين التحف وآثار كبار الفنانين .

وتنبه الفتى من ذهوله واستغراقه ، ونهض فجأة وسار إلى المنضدة حيث وقف هنيهة ويده على المصباح كأنه متردد في إضاءته ، ثم دلف إلى الغرفة المجاورة دون أن يشعله .

وبعد نصف ساعة فتح الباب ثانية ودخل شاب في ثياب المساء ، وأضاء المصباح دون تردد أو إحجام ووقف قليلا إلى جانب النافذة يتأمل سكون الليل، ثم تناول من درج المنضدة غدارة صغيرة وضعها في جيبه ، وأخذ قبعة ومعطفا وعصا وغادر الغرفة .

كان الشاب الأول حائل اللون جادا رزينا نحيف الوجه .

أما هذا الشاب فمرح مشرق الطلعة تنم حركاته عن الخفة والتفزز؛ وله وجه مستدير باسم ، وشعر ناعم منسق .

وليس بين الأحياء جميعا سوى ثلاثة أشخاص يعرفون أن هذين الشابين

اللذين يختلفان كل الاختلاف ليسا في الحقيقة إلا رجلا واحدا .

◆◆◆◆◆

نظر إلى الفتاة الجالسة معه في المشرب وفي جيدها عقد من الزمرد الثمين، فلم يسعه إلا الشعور بالأسى والرثاء لما يوشك أن يحدث لها .

وكان شعرها الأحمر المتألق كإطار من اللهب يزيد وجهها الصغير الجميل فتنة وإشراقا ، ويضفي على عينيها النجلاوين خضرة لامعة تحاكي لون الزمرد الذي يزين نحرها ولم تكن سوى "**بوبي هيمرز**" التي اشتهرت باسم "غادة الزمرد" نسبة إلى ذلك العقد الشهير .

وراح الفتى ينظر إليها مفكرا . وكان وجهه المستدير مرحا متهللا تتجلى في قسماته الخفة والتفزز ، وقد انثنى طرفا حاجبيه إلى أعلى في شكل غريب غير مألوف فخلعاعليه مسحة شيطانية تستلفت الأنظار ومال نحو الفتاة فجأة وقال :

– اخلعي هذا العقد وضعيه في حقيبتك يا عزيزتي ، فليس من الصواب أن تظهري به في مثل هذا المكان . .

فزمت الفتاة شفتيها استخفافاً ثم وضعت العقد في الحقيبة الصغيرة الأنيقة نزولا على رغبته ، فقال :

– أحسنت . . ولعله لم يكن من الصواب أن أجيء بك إلى هذه الحانة الوضيعة . .

فقالت متذمرة :

– قبحا لك ! إني لأشقى فتاة في الوجود ، فما يريد لي أحد شيئا من اللهو والمتعة ، والناس يحسدونني دون أن يعرفوا ما أكابد من الهم والشقاء . .

ومضت في التذمر والشكوى .. إن "**بوبي هيمرز**" الثرية المترفة شقية سيئة الحظ .. فالرجال الذين يتقربون إليها ويرددون على سمعها أناشيد الوجد والهيام إما من طلاب المال أو من الحمقى الأغبياء الذين تضيق بهم وتزهد في صحبتهم ، وليس لها من صديق تثق به وتبثه نجواها ، فإن الناس جميعا لا يضمرون لها سوى الإحنة والبغضاء .. وقالت فجأة :

– ليس هنا من يعنيه أمري ، وقد جئت لأغنم شيئا من المرح والانطلاق .

وكان السهر قد بدأ ينال منها فثقل جفناها واسترخت شفتها السفلى قليلا، ونظر إليها الفتى مرة أخرى فقرأ في محياها آيات الجرأة والإقدام ، واستعاد في ذاكرته ما طالما فاضت به الصحف من أنباء تهورها واندفاعها ..

وقالت :

– سأحتسي كأسا أخرى ، فإما أن تفنى قواي ، أو تذهب بحواسي ، وكلا الأمرين خير لي ..

فطلب لها كأسا مضاعفة ، واعتمدت بمرفقيها على المنضدة وأخذت تتفرس في وجه الشاب ، لقد هجس في خاطرها عندما تعرفت به في إحدى حفلات الكوكتيل أن هيئته مألوفة لديها ، وما فتئت تحاول أن تتذكر أين التقت به قبل ذلك ؟ ومتى ؟ ثم قالت متبرمة :

– لقد مللت هذا المكان القذر ..

– إني أعرف مكانا آخر يروقك تماما ..

فنهضت وسار بها في عناية ورفق إلى حيث تركت سيارتها في الشارع ، وسألها وهو يجلسها في المقعد الأمامي :

– أتحبين أن أتولى القيادة ؟

فأومأت برأسها موافقة دون أن تتكلم إذ لم يكن لها قِبَلٌ بالكلام .. وقال :

– أتريدين جرعة من الشراب ؟

أومأت الفتاة ثانية بالإيجاب ، فرفع إلى شفتيها زجاجة جيب صغيرة بها شراب .. وإنها لتجد له مذاقا يختلف بعض الاختلاف عن غيره من الشراب ، ولكن ماذا يعنيها من ذلك إنه شراب مهما يكن نوعه أو طعمه ..

كان الظلام حالكا داخل السيارة ، وبدا لها أنها تسير بسرعة مخيفة ، فطاف برأسها حلم مزعج طالما روعها وهي طفلة ، وفتحت عينيها لحظة؛ فلاح لها الشارع غريبا عنها كأنها لم تره من قبل ، وتولتها رهبة شديدة كأنها ترى نفسها في منقطع من الأرض بين المغاور والكهوف ، وحاولت استجماع أنفاسها لتصيح مستغيثة ، ولكن الصوت احتبس دون حنجرتها ، وأخذت الظلمات تطبق عليها ، والبرودة تتمشى في أوصالها ..

وبذلت جهد اليائس المستميت لمغالبة هذا الكرى الذي يرين عليها ويثقل أجفانها ولكنها شعرت أنها تهوي في هاوية مظلمة عميقة .

نظر إليها الشاب وعلى فمه ابتسامة الرضا والارتياح ، ثم انتزع الحقيبة الصغيرة الأنيقة من بين أصابعها ودسها في جيب سترته .

وما إن بلغ مفترق الطرق التالية حتى أبصر سيارة ضخمة سوداء تتجه نحوه بأقصى سرعتها ، فأراد التحول عن طريقها ، ولكنها أعجلته عن ذلك وشعر بصدمة مروعة هائلة .

ساد السكون هنيهة .... ثم فتح عينيه فاستقبلهما ضوء خافت ينبعث من مصباح الشارع ، وراح يملأ رئتيه من الهواء الدافئ ، وقد علم أنه لا يزال في عالم الأحياء ، وبعد أن استوثق من أنه لم يصب بسوء ، انسل من السيارة المهشمة وألقى نظرات سريعة فاحصة على ما حوله ، ورأى على كثب منه كومة من الحطام هي كل ما تبقى من السيارة الأخرى ، ولكنه لم يجد من الوقت متسعا للتعرف على ما أصاب من فيها ، فسرعان ما يقبل رجال البوليس ويعج الشارع بالفضوليين .

وأخـرج "**بوبي هيـمـرز**" من السـيـارة واندفع بهـا في زقـاق مظلـم ، ومـا أن اقترب صوت صفير سيارات الشرطة من مكان الحادث حتى كان قد بلغ نهاية الزقاق وتحول إلى الشارع التالي كالسهم المارق . .

◆◆◆◆◆

قال السيد "**أبرناذي**" :

– إن البريد ليحـمل إليّ كثيراً من الإنذارات السخيـفة ، ولكن هذه الرسالة تختلف عنهـا كل الاخـتـلاف ، فـقـد تلقى بعض زمـلائي مـثلهـا ، وأثبـتـت الحوادث أن صاحبها يعني دائما ما يقول :

وجفف جبينه في اضطراب شديد ثم أردف قائلا :

– إن الرجل مجنون بلا ريب .

فقال "**دونوفان**" في هدوء :

– إما أن يكون مجنونا أو عاقلا إلى درجة يعسر علينا معها فهمه .

وقرأ الرسالة مرة أخرى ، وكـانت مكـتوبة بخط واضح مائـل قليلا في صيغة فاتورة صادرة إلى "**لوسيوس أبرناذي** المحترم" كما يلي :

القيمة المستحقة للمجتمع عقد "**ستار فلاور**" واجبة السداد فورا

أما التوقيع فكان الحرف "ن" . .

وحدق "**لوسيوس أبرناذي**" في البوليس السري قائلا :

– إنه سرق قبل ذلك صورة "**فورستر**" الشهيرة ولآلئ "**جيفورد**" .

فأخرج "**دونوفان**" من درج مكتبه رسالتين دفع بهما إلى محدثه قائلا :

– لقد كتبت هذه الرسائل جميعها بطريقة واحدة ، وصيغتها متماثلة .

قال السيد "**أبرناذي**" مهتاجا :

– ولكن من يـكون هذا الشـقي ؟ وإذا لـم يكن مـجنونا فـمـا غـايتـه من كل

هذا؟

أجاب "**دونوفان**" :

– توجد رسالة أخرى

وقدم إلى زائره رسالة مكتوبة بالخط نفسه: القيمة تسددت بأكملها "ن.."

ثم قال:

– تلقى "**جيفورد**" هذه الرسالة أو الإيصال بعد سرقة اللآلئ ببضعة أيام . أما "**فورستر**" فلم يصله فيما أعلم شيء كهذا عن الصورة .

فعاد "**أبرناذي**" يمسح عرقه المتصبب وهو يقول :

– أشد ما يزعجني هذا !

واضطجع "**دونوفان**" في مقعده قائلا :

– هل أسأت أنت و "**فورستر**" و "**جيفورد**" إلى أحد ؟

أجاب "أبرناذي" وهو يهز رأسه :

– لا أشعر أننا فعلنا شيئا من ذلك عامدين ، وإن كان كل أمر محتملا في عالم الأعمال ...

– لا .

وخذله صوته فسأله "**دونوفان**" في جفاء :

– ومن هم شركاؤكم ؟

– "**رنزو هيمرز**" و...

ثم قطع عبارته فجأة وسأله :

– ولكني لا أفهم ما ترمي إليه .

فتنهد "**دونوفان**" قائلا :

– إن البوليس السري مثله مثل الطبيب لا يستطيع أن ينفعك إذا لم تخبره

بالحقيقة كاملة . فإذا شئت ألا يسرق عقد "**ستار فلاور**" كما سرقت لآلئ "**جيفورد**" وصورة "**فورستر**" فلا مناص لك من إطلاعي على كل ما أريد .

– حسنا . . سأخبرك بكل ما في وسعي .

– لست أريد إلا تكملة لما عندي من المعلومات . لقد كنتم سبعة شركاء فيما أذكر والأربعة الباقون هم "**رنزو هيمرز**" و "**جنتر**" و "**ماك جي**" و "**هيوم**" .

– ولكن لم يكن في عملياتنا أقل مخالفة للقانون .

– سوف نرى ، لقد ألفتم اتحادا سريا أنزل بالسوق المالية ضربة قاصمة ، ولا أدري مقدار ما غنمتم من وراء ذلك من الثروات الطائلة ، ولكنني أعلم أن كثيرا من المستثمرين خرجوا من هذه الكارثة وهم لا يكادون يجدون ما يستر أبدانهم!

فقال السيد "**أبرناذي**" مبهوتا :

– أتعني أن واحدا منهم يمكن أن . . .

– لماذا يعمل هذا الرجل المجهول على الانتقام منكم أنتم السبعة ؟ لقد تلقى "**فورستر**" أول إنذار فسخر منه وإن اتخذ شيئا من الاحتياط ، فاستخدم حارسا زيادة على الحراس العاديين ، وأقام خفيرا خاصا بالغرفة التي كانت فيها الصورة ، وفي صباح أحد الأيام وجد الحارس موثقا مكمما في الحديقة ، والخفير في الغرفة غائبا عن الوعي بفعل مخدر لا نزال نجهل ما هو وكيف دس للرجل ؟ كما اختفت الصورة ؟ وبهذه المناسبة ، من أين حصل "**فورستر**" على تلك الصورة ؟

فتململ "**أبرناذي**" في مقعده وأجاب :

– إنها مجموعة "**بورتر**" ، وقد ابتاعها "**فورستر**" عندما طرحت مقتنياته للبيع بالمزاد .

– ألم يكن "**بورتر**" ممن أصيبوا بالخراب في تلك الكارثة ؟

– كان في وسعه الانضمام إلينا ، لا ريب أنك لا تعني .. ولكن "**بورتر**" قد مات .

قال "**دونوفان**" :

– أعرف ذلك .

ومد يده إلى مجموعة من بطاقات الفهارس فتناول إحداها وأخذ يقرأ بصوت مسموع "**جون بورتر**" : انتحر في 27 حزيران (يونيو) سنة 1936 بعد أن فقد كل ما يملك في الكارثة المالية التي نزلت بالسوق .. زوجته "**لونا بورتر**" قضت نحبها بنوبة قلبية في 3 تموز (يوليو) سنة 1936 – "**جون بورتر**" الصغير ولده الوحيد بمستشفى للأمراض العقلية في "**فرنسا**" " .

فنظر إليه "**أبرناذي**" قائلا :

– لم أكن أعرف هذا .

– وقل من يعرفه . ولا يزال المنكود بالمستشفى منذ خمس سنوات ولا يرجى شفاؤه ، ألا ما أعظم ما أحدثتم من الشر والأذى !

– ولكن كيف سرقت لآلئ "**جيفورد**" ؟

أجاب "**دونوفان**" :

– سرقت أثناء حفلة ساهرة ، وكانت السيدة "**جيفورد**" تتحلى بها على الرغم من الإنذار الذي تلقاه زوجها ، ولعله لم يذكر لها شيئا عنه ، وتعرفت في الحفلة بشاب فاتن أبدى أشد الاهتمام بها ، فانتحيا في ركن منعزل حيث استغرقا في حديث شائق مستفيض ، وقد وجدت نائمة في ذلك الركن بعد نحو ساعة ، واختفت اللآلئ والشاب جميعا ، وصمت "**دونوفان**" برهة وهو ينظر في رقعة على مكتبه ثم رفع رأسه قائلا :

– يبقى بعد ذلك "**هيمرز**" و"**جنتر**" و"**هيوم**" و"**ماك جي**" وأنت ويظهر أنك التالي في القائمة فزفر "**أبرناذي**" قائلا :

– ولكنك لا تنوي أن تقف موقف المتفرج حتى يظفر بالعقد ؟

– إننا نعود إلى حيث بدأنا يا سيد "**أبرناذي**" .

يجب أن أقف على كل ما أستطيع من المعلومات عن ضحايا تلك الكارثة التي دبرتموها في حذق وإحكام ، وبعد أن نستبعد منهم من لا يمكن أن يكون موضعا للشك والاتهام مثل "**بورتر**" المسكين نتبع الباقين بالبحث والاستقصاء .

فقال "**أبرناذي**" :

– لقد خطر لي ...

ولم يتم عبارته إذ فتح الباب وظهر الساعي قائلا :

– السيد "**هيمرز**" يريد مقابلتك يا سيدي .

وقبل أن يجيب "**دونوفان**" ، نحى الغلام جانبا ، ودخل الغرفة رجل طويل القامة ، قوي البنية ، جامد القسمات قاسي النظرات .

وهم "**دونوفان**" بالكلام ولكن القادم أشار إليه بالصمت وقال :

– لقد تلقيت يا "**دونوفان**" إنذارا بسرقة عقد الزمرد الخاص بابنتي "**بوبي**" ، ولكني لم أعره اهتماما وظننته أسخف من أن يحفل به ، ولكني الآن ...

فابتدره "**دونوفان**" قائلا :

– ولكنك جئت فيما أعتقد لأن العقد سرق ؟

أجاب "**هيمرز**" :

– هو ما تقول .. ولكن ليس هذا كل شيء.... فقد ذهب العقد وذهبت

"**بوبي**" معه !

فهتف "**دونوفان**" في دهشة :

– ذهبت "**بوبي**" ؟ أتعني أنها خطفت ؟

أجاب "**رنزو هيمرز**" :

أو قتلت .

◆◆◆◆◆

كانت اليقظة الأولى قصيرة مؤلمة لم تشعر "**بوبي**" خلالها بشيء مما يحيط بها ، وتنهدت وهي تطبق جفنيها من جديد ، ثم استيقظت أخيرا وقد أشرق الصبح .

ماذا فعلت في الليلة الماضية بحق السماء ؟ إنها لتذكر أنها قامت بجولة في النوادي الليلية مع شاب جذاب تعرفت به في إحدى الحفلات ، ثم لا تذكر بعد ذلك شيئا .

ورفعت يدها إلى جبينها الذي يؤلمها فلمست عصابة مشدودة حول رأسها، عجبا ! ما الذي أتى بهذه العصابة ؟

ثم فتحت عينيها فإذا بها في غرفة لا تعرفها وهي في بيجامة رجل !

وسمعت طرقا خفيفا فتدثرت بالغطاء ، ودخل شاب يحمل صحفة ، وكان نحيف البشرة ، حائل اللون ، لا يشبه صاحبها بالأمس ، ووضع الصحفة على مقربة منها ثم قال :

– لا ريب أن ألمك شديد .

قالت في شيء من الحنق :

– بل الأمر أسوأ مما تظن .

– لقد كنت أتوقع هذا فطلبت إلى خادمي أن يعد لك شرابا منعشا لا

يعرف تركيبه سواه ، وهو أكيد الفائدة سريع المفعول .

فتناولت "**بوبي**" القدح الكبير من الصحفة وهي تقول :

– قد لا يفيدني ولكنه لا يمكن أن يزيدني أذى على كل حال . . .

وتذوقته فوجدته باردا لاذعا ولكنه خفف من حرارة فمها وفثأ من ظمئها فجرعت جرعة أخرى وقالت :

– حسنا . . . والآن ، أين أنا ؟

– أنت في بيتي ، وإني لآسف عن تقصيري في توفير أسباب الراحة لك ، فما وجدنا قبل اليوم ضرورة لإعداد غرفة للضيوف .

فرفعت يدها إلى العصابة قائلة :

– وهذه . . كيف صارت هنا ؟

– لقد اصطدمت السيارة ، ولكنك لم تصابي بأذى كبير . .

ففكرت لحظة ثم قالت :

– ومن جاء بي إلى هنا ؟

– أنا . . .

فحملقت فيه مبهورة وهي تقول :

– ولكنك لست . .

ثم وقفت وهي لا تكاد تمسك أنفاسها إذ أدار وجهه في تلك اللحظة فتبينت في شكله الجانبي وجه رفيق الأمس ، وقالت بعد قليل :

– إنك نفس الرجل ! ولكن هذا محال .

فهز كتفيه قائلا :

– إن المرء قد يتغير حتى بين عشية وضحاها .

– ولماذا جئت بي إلى هنا بدلا من بيتي أو المستشفى ؟

– لأني لم أكن في مركز يسمح لي بتقديم الإيضاحات وخاصة إلى رجال

البوليس .

– وتحسست جيدها فهتفت :

– عقدي !

– إنه بخزانتي إذ لا أزال مترددا بين بيعه كاملا أو تجزئة حباته ، ولم أبغ سوى سرقة العقد ولكن الظروف أرغمتني على خطفك أيضا .

وراعه أن تنفجر الفتاة باكية كالطفل الصغير فقال في حنان مستغرب من مثله :

– ابكي يا فتاتي ففي البكاء شفاء من الغيظ والجوى .

ولما رأى دمعها سألها عما يبكيها فأعرضت عنه قائلة :

– إنني أبكي لسبب واه لا يستحق الذكر ، فما تنفك الحوادث تؤكد شقائي وسوء حظي .

فأشعل سيجارة وجلس أمامها صامتا في انتظار تتمة كلامها ، وبعد هنيهة تدفق الكلام من فمها سريعا كالسيل فقالت :

– لم يهتم بي أحد طوال حياتي .. ولم أجد شيئا من الحب والإخلاص .

ومضت تسرد عليه قصة طويلة لفتاة تعسة حرمت الرفق والحنان . وأرهقتها الوحدة والانفراد ، فقد توفيت عنها أمها وهي طفلة ، فأنفقت عهد الطفولة بين أيدي المربيات والمعلمات ولم يتجاوز حظها من لهو الطفولة ومرحها اللعب في ساحة قصر أبيها تحت ملاحظة الحراس المسلحين لئلا يخطفها الأشقياء طمعا في الفدية ، وختمت قصتها قائلة :

– أيدهشك بعد ذلك ما اشتهرت به من الطيش والتهور ، إن الفتاة الغنية لا تجد حولها سوى الطامعين في مالها .

– هذا هو ما خطر لي في الليلة الماضية ..

فابتسمت قائلة :

– لقد نسيت ما كان يروقك مني ... ولكنك كنت صريحا على الأقل ، أما في البيت فالحال أسوأ من ذلك بكثير ، إن أبي هو "**هيمرز**" العظيم ، وإني لأبغضه بغضا شديدا ، فهو غليظ القلب فظ الطباع ، ولولا قسوته ووحشيته لكانت أمي الآن فيما أرجح على قيد الحياة ، وهناك أيضا "**دوروثي**" ، زوجة أبي ، وأنا معها في حرب عوان لا يخبو أوارها ، ولكن ويل لها إذا وقف أبي يوما ما على قبيح فعالها، ثم استطردت منفعلة :

– أشد ما أتمنى أن يقف أبي على ذلك وأن تموت أو يموت كلاهما !

فقال الشاب :

– لابد لي من التصرف في أمرك ، فقد تلجئين إلى البوليس ، ولكنني أشك كثيرا في فائدة ذلك فإني رجل من الصعب اقتناصه سأرسلك إلى بيتك .

فهتفت منزعجة :

– كلا ، إن بيت أبي هو السجن بعينه ، وقهقه الشاب قائلا :

– هذه أول مرة أسمع فيها فتاة مخطوفة تصر على البقاء في أسر خاطفها!

ضجت الفتاة بالضحك كذلك وهي تقول :

– وهذه أول مرة أسمع فيها خاطفا يصر على عودة فريسته إلى ذويها !

ثم أردفت في تؤدة وجدة :

– أنت لص .. لص ظريف جدا ، ولا أدري رأيك فيما أوشك أن أقترحه عليك، ولكني جادة فيه غير هازلة ، إنك خارج على القانون ، واعتقادي أن في وسعي أن أكون لصة لا بأس بها ، فإذا أمكن أن تتخذني شريكة أو مساعدة .

وقف الفتى يحدجها بنظره متفحصا وهو يفكر في اقتراحها ، إن انضمام ابنة "**رنزو هيمرز**" إليه يزيده قوة ومنعة ، ويتمشى مع ما لديه من الخطط والأهداف ، وقال أخيرا :

– قد قبلت اقتراحك . .

فأجابت والجد لا يفارق محياها الجميل :

– ولعلي لا أخلو من نفع .

تراقصت عل شفتي الشاب ابتسامة ساخرة ، ابنة "**رنزو هيمرز**" الوحيدة تخوض غمار الجريمة والشر ! إن في هذا العالم من العدالة فوق ما يتصور بنو الإنسان !

وقطعت عليه خواطره قائلة :

– ولكني أحب أن أعرف اسمك .

– اسمي "**جون مون**" .

وأردف بعد لحظة :

ولكني معروف في مكاتباتي بالحرف "ن" .

◆◆◆◆◆

وقف "**بيلي**" بباب المكتب يرنو إلى أستاذه البوليس السري "**دونوفان**" وقد استغرق في التفكير ، وحاول الشاب للمرة الرابعة أن يعرف ما يستأثر بتفكير أستاذه فقال في صوت مرتفع :

– ها هي ذي الصحيفة التي طلبتها يا أستاذي .

فنظر "**دونوفان**" كأنه يفيق من غيبوبة عميقة وقال :

– آه . . نعم تذكرت . . تذكرت .

وأخذ ينشر الصحيفة ولكن "**بيلي**" بادر إلى الإشارة إلى خبر في الصفحة الأولى، فقرأ "**دونوفان**" ما يلي :

"يحيط الغموض بمصرع "**توني باتشيلي**" و"**جو جريكيو**" الهاربين من وجه العدالة ، واللذين وجدت جثتاهما هذا الصباح بين حطام سيارتهما

القوية ، ويعتقد رجال الأمن أن موتهما كان نتيجة اصطدام سيارتهما بسيارة يظن أن "**بوبي هيمرز**" ابنة "**رنزو هيمرز**" كانت تقودها .

وقد وجد حطام سيارة الآنسة "**هيمرز**" على مسافة يسيرة من سيارة القتيلين ولكن لم يعثر على أثر لسائقها أوراكبيها .

ويقال أن الآنسة "**هيمرز**" غائبة عن "**نيويورك**" وقد أبى "**رنزو هيمرز**" الإفضاء بأي إيضاح سوى القول أن ابنته تستمتع بالحياة والعافية ولا شأن لها بهذا الحادث على الإطلاق " .

وما كاد يفرغ من قراءة هذا الخبر حتى اندفع إلى الغرفة شاب يتوهم الناظرأن جسمه ليس به سوى ذراعين وساقين . فابتدره "**دونوفان**" قائلا :

– أريد محادثتك يا "**توم**" .

فابتسم "**توم كلارك**" وجلس قائلا :

– لن أنشر الخبر إن لم تأذن لي . . ولكن أين تخفي "**بوبي هيمرز**" ؟

أجاب "**دونوفان**" :

– "**بوبي هيمرز**" ؟ لست أعلم منك بمكانها .

– لو قال هذا غيرك لقلت له إنه كاذب .

– أليست غائبة عن "**نيويورك**" فيما تزعم صحيفتك – دعك من اللف والدوران فما تجهله أنها قصة ملفقة لذر الرماد في العيون ، لقد أمضى "**هيمرز**" وقتا طويلا عندك هذا الصباح ، وكنت أقتفي أثره ، وفي بيته سلمت لي وصيفة "**بوبي**" بلا قيد أو شرط بعد قليل من الغزل ، واعترفت لي بأن "**بوبي**" لم يظهر لها أثر منذ خرجت في الليلة الماضية للعربدة كعادتها ، ولهذه القرائن كلها دلالتها ، وعندك بلا ريب الخبر اليقين .

قال البوليس السري :

– إن معلوماتك في هذا الحادث تفوق كل ما عندي .

فأغمض الصحفي الشاب عينيه قليلا ثم قال :

– إنني أعرف في الحقيقة أين شوهدت آخر مرة ومع من ؟ فقد أخبرني رئيس الخدم بحانة "روندفو" وهي من أحط الحانات ، أنها كانت هناك في رفقة شاب لا يعرف عنه سوى أنه أشقر ، شاب أشقر وسيم كان يهتم بها اهتماما شديدا .

وصمت "**دونوفان**" هنيهة ثم قال :

– قد عرفنا الآن أنه أشقر على الأقل .

فسأله "**توم كلارك**" في دهشة :

– هل سمعت به قبل ذلك ؟

– لم أسمع به فيما يتصل بالآنسة "**هيمرز**" . امض في حديثك .

– أفي هذا الوصف ما يدلك عليه ؟

– بالتأكيد .

– من هو ؟

فقال "**دونوفان**" آسفا :

– ليتني أعرف ذلك !

فنهض "**توم كلارك**" قائلا :

– يبدو أن هذه الزيارة كانت مفيدة للجميع .. إلا أنا !

ثم أشعل سيجارة وأردف قائلاً :

– قد جئت لسببين : الأول إذا كان لديك ما تريد الإفضاء به إليّ ، والثاني إذا كنت تحب أن أتناسى مؤقتا نتائج أبحاثي الخاصة فلا أنشرها فما قولك؟

أجاب "**دونوفان**" :

– الجواب "لا" عن الشطر الأول و"نعم" عن الشطر الثاني وإذا جد شيء ..

فقاطعه "**توم كلارك**" مكملا :

– فستفضي به إليّ بالتأكيد ! حسنا .. إلى الملتقى .

وما إن انصرف الصحفي الشاب حتى استغرق "**دونوفان**" في التفكير من جديد ، فنظر إليه مساعده "**بيلي**" آسفا ثم انتحى في ركن يقرأ الصفحة الفكاهية ..

وانتبه "**دونوفان**" من استغراقه أخيرا وفتح درج بطاقات الفهارس وأخذ يتفحصها بطاقة بطاقة حتى وقف عند إحداها فرفعها من موضعها وراح ينظر فيها :

"**جون كازاليس**" : اختفى في 12 نيسان (إبريل) سنة 1936 "

إن تفاصيل هذا الحادث الأليم لا تزال حاضرة في ذهنه .. كان "**جون كازاليس**" مستخدما صغيرا معروفا بالنزاهة والأمانة عند "**هيمرز**" ، وفقد كل ما يملك وهو نحو ثلاثة آلاف دولار في تلك الكارثة المفتعلة ، ويظهر أن الصدمة ذهبت بعقل ذلك المنكود فمضى يهدد "**هيمرز**" ويتوعده حتى اضطر هذا إلى استدعاء "**دونوفان**" لحمايته .. وفي تلك الليلة من شهر نيسان (إبريل) غادر "**جون كازاليس**" بيته وهو يعد زوجته بالعودة عاجلا واتضح فيما بعد أنه استقل القطار إلى أقرب محطة من ضيعة "**هيمرز**" في الريف ، وهناك اختفى كل أثر له ..

وقطب "**دونوفان**" حاجبيه مفكرا وهو ينظر إلى البطاقة ..

إن "**مولي كازاليس**" تقيم في المنزل رقم 825 بشارع "**ملتون**" ..

وإنه ليذكرها جيدا ، فهي امرأة شاحبة اللون ، دمثة الطباع ، بها مسحة من الجمال .. وقد روعها الرزء وهدها ، ولكنها استقبلته في شجاعة خليقة بالثناء والإعجاب .. ولها أيضا طفلة صغيرة .

وأغلق "**دونوفان**" صندوق البطاقات ونهض فجأة .

كانت الشمس مشرقة دافئة ، و"**روزالي كازاليس**" تفرك قدميها الصغيرتين الحافيتين على الرصيف وهي تتمنى لو دام هذا الدفء ، فإن البرد ليؤلمها ألما شديدا في الشتاء ، وإن الجوع ليشتد فتكه بأحشائها الصغيرة في ذلك الفصل.. وها هي ذي الساعة قد بلغت الخامسة وأوشكت أمها أن تعود ، ولكن "**روزالي**" تود أن تعجل بالعودة ، فقد كان ما في البيت من الطعام للغداء قليلا تافها ، وكان طعام الفطور أقل منه ..

– هل أمك هنا يا "**روزالي**" ؟

رفعت الفتاة عينيها فرأت "**دونوفان**" يشرف عليها بقامته المديدة وأجابت :

– كلا ، ولكنها ستعود عاجلا .. كيف عرفت اسمي ؟

فقال البوليس السري وهو يجلس على الدرج المفضي إلى الباب :

– رأيتك مرة منذ زمن بعيد وكنت صغيرة جدا ، هل تشتغل أمك بعمل ما؟

– نعم يا سيدي ، وهي تبكر في الذهاب إلى عملها كل صباح .

– لو سئلت يا "**روزالي**" عما تتمنين في هذا العالم فماذا تقولين ؟ .

فأجابت الطفلة على الفور :

– أتمنى طبقا من "**جيلاتي**" الفراولة المعروضة صورتها في واجهة محل الحلوى القريب من هنا .

– هذا اختيار موفق .

وغالب هذا الرجل عبرات التأثر والرثاء وهو يخرج من جيبه قطعة من النقود ويعطيها إلى الطفلة قائلا في حنان :

– اذهبي وابتاعي أكبر طبق في المحل من "**جيلاتي**" الفراولة .

وانطلقت الطفلة وفؤادها الصغير يكاد يطفر جذلا وابتهاجا فما كادت

تغيب عن بصره حتى رأى الأم تقبل من الناحية الأخرى في مشية الخائر المكدود فتقدم لملاقاتها قائلا :

– السيدة "**كازاليس**" هل تذكرينني ؟

فأخذت المسكينة بهذه المفاجأة ولاحت في وجهها أمارات الخيبة والقنوط وقالت :

– آه .. السيد "**دونوفان**" ! كان ينبغي أن أتوقع مقدمك من أجل النقود ، فإن الأمر لأطيب من أن يكون حقيقة ..

◆◆◆◆◆

وقال بعد ما أغلق عليهما باب الحجرة الرطبة الحقيرة :

– ما هذه النقود التي تتحدثين عنها ؟

فأجابت وهي تحملق فيه دهشة :

– أتجهل أمرها حقا ؟

ثم فتحت درجا وقدمت إليه مظروفا لم يكد يفرغ محتوياته حتى صفر بفيه إذ ألفى بين يديه عدة آلاف من الدولارات وسقطت رقعة صغيرة من الورق على الأرض فالتقطها ونظر فيها :

2900 دولار

290 دولارا خصم 10 في المائة من مصاريف التحصيل

2610 دولارات

وما كان "**دونوفان**" في حاجة إلى هذا التوقيع ، فقد كان الخط كافيا للدلالة على كاتبه .

وهمست "**مولي كازاليس**" :

– أتفهم لهذه الرقعة معنى ؟

أجاب ساهما :

– أجل .. إني أفهم معناها هذا إذن هو مصير لآلئ "**جيفورد**" وزمرد "**هيمرز**" ، إن ثمة رجلا يسرق أولئك اللصوص الذين جنوا الثروات الطائلة من العبث بالسوق المالية لكي يرد إلى ضحاياهم ما خسروه ...

وسألها بعد قليل :

– متى وصلك هذا ؟

– ببريد الصباح ، وإني لفي أشد الحيرة مما ينبغي أن أفعل بهذا المال ، ولو كان يحل لي الاحتفاظ به لنقلني من الجحيم إلى النعيم !

فوضع "**دونوفان**" المظروف على الخوان قائلا :

– إن مجيئي لا شأن له بهذا المال وسنتحدث عنه فيما بعد ... ولكني أريد أن أعرف ألم يبلغك نبأ عن زوجك منذ اختفائه ؟

فهزت المسكينة رأسها في حزن قائلة :

– لو سمعت شيئا يا سيد "**دونوفان**" لبادرت بالذهاب إليك .. إنني لا أشك في موته فلو كان حيا يرزق لعاد إلينا على الرغم من كل شيء ...

وفكر "**دونوفان**" مليا ثم قال :

– إني أتفق معك في هذا الرأي . لقد أخبرتني "**روزالي**" أنك تشتغلين فما هو عملك ؟

– خياطة الثياب وإصلاحها للسيدة "**ماك جي**" ..

– "**ماك جي**" ؟ يا للعجب ! ما أكثر ما تتردد أسماء أولئك الرجال السبعة !

وأجابت "**مولي كازاليس**" :

– نعم يا سيد "**دونوفان**" .. وقد كان أول من استخدمني هي الآنسة "**بوبي هيمرز**" عقب اختفاء زوجي ، وكانت تعاملني بكثير من العطف والكرم .. وكنت قد ذهبت لأسأل أباها عملا عنده أعيش منه أنا وابنتي إذ ظننت أن لنا عليه حقا لطول خدمة زوجي له في أمانة وإخلاص ، وشاء حسن حظي أن ألقى ابنته لغيابه ، فعهدت إليّ بمساعدة وصيفتها في العناية بثيابها وترتيبها ، وشددت عليّ بكتمان شخصيتي عن أهل البيت جميعا .. وقد بدت لي هذه النصيحة في حينها غريبة لا موجب لها ، ولكن ما حدث بعد ذلك أيد ما فيها من الحكمة والصواب ، فلقد اكتشف السيد "**هيمرز**" حقيقتي بعد ذلك بسنة فأصر على فصلي ، وقدمتني ابنته إلى السيدة "**ماك جي**" وأوصتها بي خيرا ..

فقال "**دونوفان**" :

– عجيب أن يعترض "**هيمرز**" على بقائك بخدمة ابنته مع أنك لم تسيئي إليه ولم يكن لك ذنب في تهديد زوجك له ..

– لا أدري .. ولكن الرجل كان ثائرا مهتاجا وبدا لي أنه لن يقر له قرار حتى أغادر بيته .. على أنني في الحق لم آسف على فراق ذلك البيت ..

فنظر إليها "**دونوفان**" متسائلا :

– لماذا ؟

– لقد كان أشبه بمستشفى المجاذيب يا سيدي .. ليس من طبعي الفضول ، ولكن الآنسة "**بوبي**" وأباها لم يكونا يتفقان في أمر من الأمور ، وهيهات أن تصدق كيف كان ينشب بينهما الخصام ..

– بل أصدق ذلك ..

– ولو رأيت ما يحدث بينهما لاعتقدت بأن كلا منهما يكن للآخر بغضا شديدا قاتلا ، بل لعل هذه هي الحقيقة ..

وقد فهمت مما سمعت أن زوجة "**هيمرز**" الأولى أي والدة "**بوبي**" كانت سيدة كريمة النفس رقيقة الطباع لا يرضيها شيء من قسوة زوجها وخسته ويلوح لي أنه لا يستطيع أن ينظر إلى "**بوبي**" دون أن تطالعه فيها صورة أمها..

– وزوجته الحالية ؟

– لقد كنت أنفر منها نفورا شديدا ، فهي امرأة شريرة فاسدة تخدع زوجها وتعبث به .

وأخذ "**دونوفان** يقلب بصره في الغرفة الحقيرة الرطبة ثم قال :

– أظن أنه ينبغي عليك قبول هذا المال يا سيدة "**كازاليس**" .

فهتفت المسكينة والعبرات تجول في مآقيها :

– أتقول حقا ؟

– نعم .. إنها ملك حلال لك لأنه لم يكن لك ذنب في خسارتها ، والله يعلم شدة حاجتك إليها .

وعاد إلى مكتبه ووجهها المشرق المتهلل لا يبرح خاطره ، وقد لاحت في وجهها أمارات الرضا والارتياح .

ونظر إلى مساعده "**بيلي**" متسائلا فقال :

– لقد كنت الآن أعتدي على القانون إذ نصحت لامرأة بقبول أشياء مسروقة .

قال "**بيلي**" :

– لا ريب أنك لم تتجاوز الحق والعدل فيما فعلت . وأشعل البوليس السري غليونه واستقر في مقعده وراح يفكر ماذا حدث لـ"**جون كازاليس**" ؟ إن "**مولي كازاليس**" يغلب أن تكون على حق في اعتقادها بموته ، فلو كان على قيد الحياة لحاول على الأقل أن يعرف ما آل إليه أمر زوجته وابنته بعده ،

ولكن إذا كان قد مات حقا فكيف كان مصرعه ؟ لماذا أو من قتله ؟ ولماذا لم يظهر لجثته أثر ؟

ولاحت منه نظرة إلى المكتب فتجهم وجهه وبدت عليه أمارات الضيق والاستياء، فقد رأى عليه رسالة من مدير مستشفى الأمراض العقلية الفرنسي ينبئه بفرار "**جون بورتر**" .

- 2 -

تنهد الرسام الفرنسي حسرة وأسفا وهو ينظر من عابرة المحيط إلى الغادة الرشيقة الشقراء التي تعبر الجسر الخشبي إلى ميناء "**نيويورك**" .

ولقد كانت محط أنظاره ومحل عنايته واهتمامه منذ أبحرت الباخرة من "**فرنسا**" ، وقد أدرجت بقائمة المسافرين تحت اسم "**برتا ماكشزني**" من "**كولشتر**" في "**إنجلترا**" ، ولم يستطع أن يعرف أكثر من ذلك عنها ، كما أخفقت جميع محاولاته في التقرب إليها وعقد أواصر الصداقة معها .

ولكن يا لها من امرأة طويلة القامة ، متناسقة الأعضاء ، وضاءة البشرة ، ذات شعر مرسل قصير في صفرة الذهب ، وهي على ما اجتمع لها من معاني الحسن وآيات الفتنة والجمال تفور كالظبية الوحشية .

وتنهد مرة أخرى عندما رآها تبلغ نهاية الجسر الخشبي وتغيب في غمار الجماهير المزدحمة على رصيف الميناء ، وكان هذا آخر عهده بها .

وما كادت "**برتا ماكشزني**" تفرغ من الرسميات التي لامناص منها لكل قادم من الخارج ، حتى قصدت من فورها إلى فندق معتدل الأسعار ، فسجلت اسمها وحصلت على غرفة فيه .

ولم يمض على ذلك أسبوع واحد حتى غدت لغزا من الألغاز العالمية التي

يكتنفها الغموض والخفاء ، ومشكلة من المشكلات المستعصية . .

فلقد غادرت هذه الفتاة الإنجليزية الفندق عقب حل أمتعتها وعادت بعد بضع ساعات تحمل أكداسا من الحزم ، وبعد قليل تلقت من أحد المتاجر ربطتين كبيرتين أو ثلاثا . .

وفي صباح اليوم التالي وجدت الخادمة الغرفة خالية والفراش منظما لم يمس، ولم يزعج غيابها أحدا في أول الأمر ، بيد أنه عندما انقضى اليوم الثالث دون أن تظهر بدأ البحث والتحقيق . . .

لم يتذكر أحد من عمال المصعد أنه هبط بها إلى الطابق الأرضي ، وراحوا يؤكدون جميعا أنهم ما كانوا ليغفلوا عن ملاحظة ذلك ، فليست "**برتا ماكشزني**" بالمرأة التي لا تسترعي النظر . . .

وقامت الخادمة التي تولت حل أمتعتها بتفتيش الغرفة ثم أعلنت أن ثياب الفتاة كلها موجودة ، بما فيها الثياب التي كانت عليها عند وصولها إلى الفندق، أما الأشياء التي ابتاعتها بعد قدومها فلم يعثر لها على أثر . .

وأخيرا فحصت سجلات المتجر لمعرفة الأشياء التي اشترتها منه فظهر أن "**برتا ماكشزني**" ابتاعت مجموعة كاملة من ثياب الرجال الداخلية والخارجية حتى القبعة والحذاء ، وكان طبيعيا أن يستنتج المحققون أن الفتاة تنكرت في ثياب الرجال . . . ولكن الواقع كان بعكس ما ذهبوا إليه تماما . .

لم تكد تلك الزائرة المجهولة الغامضة تلبس ما ابتاعته من الثياب ، وتزيل من وجهها آثار المساحيق والأصباغ ، وتنظم شعرها القصير المتهدل ، حتى انقلبت الفتاة الإنجليزية شابا وسيم الوجه لا يختلف عن أمثاله من الرجال . .

وأخذ قبعته الناعمة وغادر الغرفة ، ثم وقف عند باب المصعد وفكر لحظة فلم يلبث أن اتجه إلى السلم ، وكان عليه أن يهبط أحد عشر طابقا ، ولكنه لم يكن ليجازف بافتضاح حقيقته ، وأفضى به السلم إلى باب جانبي

للفندق ، فانسل منه مسرعا إلى الشارع ، ثم اختفى في الجماهير التي يعج بها الرصيف . . .

وفي تلك اللحظة عينها كان "**دونوفان**" جالسا إلى مكتبه يحدق في رسالة الطبيب الفرنسي ، وكان الرأي السائد هناك أن المريض لم يحاول مغادرة "**فرنسا**" ، وأن رجال البوليس واثقون من اعتقاله سريعا وإن لم يقفوا له على أثر بعد .

وشعر "**دونوفان**" ببعض الراحة ، فإن ذلك المجنون الهارب إذا لم يتمكن من الوصول إلى "**نيويورك**" ؛ كان لـ"**دونوفان**" أن ينجو من هذه المشكلة الجديدة، فحسبه ما يكاد ينوء به من مشاكل ومشاغل .

وكان ذلك الرجل في تلك الأثناء يسير في شوارع "**نيويورك**" بين الجماهير، وهو يقلب بصره في واجهات الحوانيت والأبنية الشاهقة وإعلانات المسارح والملاهي ، ولا يكف في خلال ذلك عن التحديق في وجه كل من يمر به فاحصا مستقصيا . .

كان كل ما يراه مألوفا لديه ، ولكنه لا يستطيع أن يذكر أنه كان في هذه المدينة من قبل ، ولم يكن يحب أن يفتش في زوايا ذاكرته المعتمة الغائمة ، فليس فيها غير صور قلائل متفرقة لا اتصال بينها ولا اتساق وإنه ليعلم أن اسمه "**جون بورتر**" ، فما أكثر ما أعادوه عليه في المستشفى مرارا وتكرارا حتى أدرك أخيرا أنه اسمه .

ولكن شيئا واحدا ظلّ ماثلا في خاطره منذ اللحظة الأولى في أتم الوضوح والجلاء ، هو أنه يجب أن يفر من المستشفى .

ولقد استغرق رسم خطته عدة أشهر ، وقد غادر المستشفى مريض آخر لشفائه ، وكان قبل خروجه قد توثقت أواصر المودة والصداقة بينه وبين "**جون**

بورتر" واقتنع بصحة عقله .

وسنحت لـ"**جون بورتر**" الفرصة وتمكن من الفرار ، ولم يكد يبدأ البحث عنه حتى كان قد اهتدى إلى مكان ذلك الصديق ، وزعم له أن جماعة من أهله يكيدون له ويعملون على حبسه في المستشفى حتى يخلو لهم الجو ويستأثروا دونه بثروته ، وأنه لابد له من العودة إلى "**نيويورك**" لاستخلاص حقوقه المغتصبة .

وأعانه ذلك الصديق بالمال وغيره من وجوه المساعدة ، كما ابتاع له ثياب "**برتا ماكشزني**" سرا ، وأعد له الجوازات وتذاكر السفر وها هو ذا قد **وصل** إلى وجهته.

وعلى الرغم مما يغشى ذاكرته من الغيوم ، فإن بها أمرا واحدا واضحا كل الوضوح ، هو الغرض الذي جاء إلى "**نيويورك**" لإنجازه ، والرجل الذي يجدُّ في طلبه .

لقد نسي لماذا يمقت هذا الرجل ، ولكن كان محالا أن ينسى ذلك الحقد المريع الهائل .

ولم يبق في ذهنه الغائم الخامد من الأسماء كلها غير اسم واحد . . . "**هيمرز**" !

◆◆◆◆◆

قال "**دونوفان**" في ضجر :

ـ لا حاجة بك إلى الكلام فإني أعرف ما حملك على المجيء .

لقد تلقيت رسالة من رجل يوقع بالحرف "ن" ينذرك فيها بالسرقة .

ففغر "**ولفريد هيوم**" فاه دهشة وقال :

ـ لقد أضفت إلى مواهبك قراءة الغيب !

أجاب "**دونوفان**" :

- بل الأمر أوضح من أن يتطلب حتى الحدس والتخمين .

وكان زائره واحدا من أولئك السبعة الذين اشتركوا في تلك الضربة المالية المشهورة ولكنه الوحيد فيهم الذي يكن له "**دونوفان**" شيئا يقرب من الاحترام، وهو شاب في مقتبل العمر ، وسيم الوجه ، قوي العضلات ، أنيس المعشر .

وقال "**دونوفان**" أخيرا وهو يتناول منه الرسالة :

- فلنرها .

وكانت مصوغة في قالب الرسائل الأخرى تماما ، غير أن المطلوب هو "**تاج فوردويس**" ووضعها "**دونوفان**" جانبا بعد قراءتها وقال :

- لقد كنت أتوقع شيئا كهذا .

فقال "**ولفريد هيوم**" دون أن يبدي شيئا من الدهشة :

- وكذلك أنا .

- هل علمت بالسرقة الأخرى ؟

- كلا ، غير أنني أحسست أن هناك شيئا من هذا القبيل يكتمه أصحابه ويطوونه عن الصحف ..

- إنك أنت الذي تقرأالغيب !

- بل هو محض استخلاص النتائج من المقدمات ، إذ إني أعرف ماذا سيفعل ذلك الرجل بثمن المسروقات .

- هل لك أن تخبرني كيف وقفت على ذلك ؟

فأشعل الشاب سيجارة ثم قال :

- إن لي صديقة عجوزا تقيم في "**كونيكتيكوت**" ، وهي مربيتي الأولى ، وقد اكتشفت منذ زمن غير بعيد أنها فقدت كل ما تملك من حطام الدنيا

عندما كان "**هيمرز**" يحرك السوق لمصلحتنا المشتركة ، ولكم تمنيت منذ تلك اللحظة لو أنني لم أشترك في تلك العملية الشائنة ، ولكني قليل الخبرة بشؤون المال ، وكنت أنقاد لـ"**هيمرز**" انقيادا أعمى دون أن أدرك ما تنطوي عليه أعماله من الشر والإجرام ..

ومنذ وقفت على أمر تلك الصديقة المسكينة أخذت أرسل إليها تحويلات مالية بانتظام شاعرا بأني مسؤول عما أصابها وقد جاءتني منذ أيام قلائل بقصة تثير الدهشة والعجب ، إذ تلقت بالبريد رسالة معها المبلغ الذي خسرته ناقصا عشرة في المائة مصاريف التحصيل فيما ذكر صاحب الرسالة.

قال "**هونوفان**" :

– وكانت الرسالة بنفس الخط المكتوب به الإنذار الموجه إليك ، ومذيلة بالحرف "ن" أيضا ؟

فأومأ "**هيوم**" برأسه وقال :

– وهأنتذا ترى مقاصد ذلك الرجل ولك أن تقدر ما أشعر به نحوه ..

– ما الذي تشعر به ؟ إني أعرف قيمة "**تاج فوردويس**" .

– إن قيمة هذا التاج عندي لا تقدر بما يساويه من المال ، فقد كانت أسرتي تمتلكه في "**إنجلترا**" قبل أن تجيء به إلى هذه البلاد بزمن طويل ، فله عندي قيمة لا يمكن أن تكون عند شخص آخر لما يتصل به من الذكريات والاعتبارات العائلية .

وإذا سرقه ذلك الرجل المجهول فلابد له من تكسيره إذ لن يستطيع بيعه سليما كاملا ، وهو أمر أوثر عليه أن أفقد يميني ..

قال "**دونوفان**" :

– ليس أمامك إذن سوى إيداعه في أحد المصارف .

– بل لدي فكرة أخرى لم أشأ التحدث عنها قبل معرفة رأيك . إن هذا

الرجل واقف بلا ريب على مكان التاج ووسائل المحافظة عليه ، وسأنقله الليلة من مكانه وأضع ربطة أخرى بدلا منه .

فسأله "**دونوفان**" :

– وما عسى أن تحويه هذه الربطة ؟

– نقودا تعادل ثمن التاج تماما ، ومعها رسالة تشرح غرضي .

ففكر "**دونوفان**" مليا ثم قال :

– إنها فكرة لا يتمخض عنها سوى فكر طائش مغرق في الخيال ، ولكنني لم أكن لأفعل غير ذلك لو كنت مكانك .

وظل بعد انصراف الشاب شاخصا ببصره نحو الباب وهو عابس .

إن "**ولفريد هيوم**" كان صديقا حميما لأسرة "**بورتر**" التي حطمتها الكارثة المالية ، كما أن الشاب "**جون بورتر**" الذي أصيب بالجنون كان من أعز أصدقائه .

والناس يتهامسون كذلك عن علاقات فاضحة بين الشاب الوسيم "**ولفريد هيوم**" وزوجة "**رنزوهيمرز**" التي كانت قبل الزواج من فتيات الملاهي .

وثمةٌ أمر آخر يتصل بهذا الشاب ، فإن "**جون كازاليس**" الذي اختفى ينحدر من أسرة كريمة أخنى عليها الزمن ، وقد تلقى تعليما حسنا بفضل والد "**ولفريد هيوم**" ، كما كان "**ولفريد**" نفسه صديقا له .

ألا ما أعجب المصادفات في هذه القضية ، وليس أقل هذه المصادفات عجبا أن جميع من يتصلون بها من أصحاب الشعر الذهبي والقامة المديدة والوجه الأشقر الوسيم ، وهو وصف ينطبق على الرجل المجهول الذي يوقع بالحرف "ن" كما ينطبق على "**جون كازاليس**" وعلى الشاب المجنون "**جون بورتر**" بل إنه لينطبق كذلك على "**ولفريد هيوم**" نفسه .

◆◆◆◆◆

طالعت زوجة "**رنزوهيمرز**" الحقيقة المروعة في مرآتها ولم يعد أمامها مجال للتجاهل أو الإنكار .، إن جمالها يذبل ودولة حسنها آخذة في الزوال ، وما خطر قبل ذلك ببال "**دوروثي هيمرز**" أنه ليس لها من معاني الحسن غير نضرة الصبا وطراوة الشباب ، ولم تفطن إلى ذلك إلا عندما طوى خليلها "**ليون**" أحاديث الصبابة والغزل ، وتحول إلى الاستغلال والابتزاز .

"**ليون**" ! ذلك الوحش المريع ! ما الذي كان يروقها فيه ؟ أعيناه السوداوان اللتان تشبهان عيني الكلب ؟ أم شعره المضمخ بالزيت والطيب ؟ أم حذاؤه المدبب القبيح ؟

وفرغت من استكمال زينتها والاستعداد للخروج ، فطلبت إلى وصيفتها "**إيفا**" أن تأتيها بورقة كبيرة من ورق الحزم وأخرجت من صندوق جواهرها سوارين مرصعين بالأحجار الثمينة النادرة ، وراحت تتأملهما في حسرة وأسف .

لقد كان من حسن حظها أن تلقى "**رنزو هيمرز**" الرسالتين المذيلتين بالحرف "ن" ، وعجيب أن يوليهما زوجها كل هذا الاهتمام ، وإن كان اهتمامه يوافق غرضها ويمهد السبيل لإنفاذ خطتها .

وعادت "**إيفا**" بالورق فقالت لها :

– لفي هذين السوارين فسآخذهما معي لتنظيفهما وإصلاح مشبك أحدهما.

– وهل تأمنين عليهما يا سيدتي ؟؟

– أجل .. فلن أحملهما أبعد من حانوت الجوهري .

ولاذت الوصيفة بالصمت على مضض فقد أعذر من أنذر وهبطت "**دوروثي**" السلم مزهوة بجمالها المستعار وحسنها المجلوب ، ثم صعدت إلى السيارة وطلبت إلى السائق الذهاب إلى متجر عينته له ، واضطجعت في

مقعدها وهي ترمي السائق "**توني**" من ورائه بنظرات تفيض بالحقد والبغضاء فإنها لتعتقد أنه يتجسس عليها لحساب زوجها .

وراحت تستعيد في ذهنها الخطة التي رسمتها ، فستتخلص قبل كل شيء من كل من قد يكون متتبعا خطواتها ، ثم تذهب ماشية على قدميها إلى الغرفة الصغيرة التي تجتمع فيها بعشيقها "**ليون**" . وبعد أن تعطيه السوارين يحملها في سيارته إلى ناحية منعزلة من الحديقة العامة حيث يتركها غائبة عن الوعي ، وستزعم عندما يعثرون عليها بعد ذلك أنها استقلت سيارة أجرة لتذهب بها إلى حانوت الجوهري ، فشعرت فيها بدوار لا تذكر بعده شيئا حتى عادت إلى وعيها في الحديقة .

وصرفت سائق سيارة زوجها عندما وصلت إلى المتجر بدعوى أنها ذاهبة إلى السينما بعد ابتياع ما هي في حاجة إليه .

وأرادت أن تضلل من قد يكون في أثرها من الرقباء فدخلت المتجر وصعدت إلى الطابق الثالث حيث دخلت استراحة السيدات ، وغادرتها من باب خلفي لا يعرفه غير القليلين ، ثم هبطت السلم إلى الطابق الأرضي وأخذت تتنقل بين مختلف الأقسام حتى استوثقت أنها في مأمن من كل رقيب ، فانسلت من باب جانبي واختفت في غمار المارة ، وتلفتت حولها في حذر وحرص ، ثم استوقفت أول سيارة أجرة مرت بها ، وهبطت منها عند ركن قريب من البيت الذي اتخذت منه وكرا لفجورها وهو بيت عتيق كان فيما مضى معدا لسكنى أسرة واحدة ثم قسم إلى غرف مستقلة . .

لم يكن "**ليون**" هناك عندما دخلت "**دوروثي**" إذ كان التأخير من عادته ، فجلست على أحد المقاعد الكبيرة في فتور واسترخاء .

ومالت برأسها على ظهر المقعد وأسبلت جفنيها وقد داخلها الأسى على

عـهـد يؤذن بالانصـرام ، وتمنت لـو أنهـا هنا لتسـاقي "**ليـون**" كـؤوس الهـوى والغرام ، بدلا من أن تدفع إليه بالسوارين ثمنا لسكوته وتفارقه فراق الأبد .

وبدت لهـا الغرفـة خـانقة تكـاد تكـتم أنفاسـهـا وتزهق روحهـا كـأنما خلت من الهـواء فقـامت لتـفـتح النافـذة ولكنهـا أحسـت بـخور في قـواها وتخـاذل في ساقيها كأنها توشك أن يغمي عليها وقبل أن تلمس النافذة سمعت صوتا من خلفها فظنت أن "**ليون**" قد أقبل واستدارت إلى مصدر الصوت فلم تر أحدا .

ووقفت أمام الباب مصغية وهي تجزم أن وراء الستائر شخصا ، وخطر لها أن "**ليون**" قد اختبأ ليفاجئها ، ولكنها لمحت طرف حذاء بارز من تحت الستار ، ولم يكن ذلك الحذاء بالضيق ولا المدبب ولا اللامع كحذاء عشيقها ، فأرادت الصياح مستغيثة ولكن صوتها احتبس وجمدت أعضاؤها وأحست كأن الغرفة تدور بها ، وتعلقت بأحد المقاعد حذر السقوط وإذا بها ترى ظلاما دامسا يغشى كل ما حولها .

وقبل أن تغيب عن الوعي تماما رأت شابا يخرج من وراء الستار ، كان رشيقا وسيما أشقر وعلى شفتيه ابتسامة رهيبة

◆◆◆◆◆

أغلق الرجل الذي يرمز إلى نفسه بالحرف "ن" الباب الذي دخلت منه "**دوروثي هيمرز**" منذ وقت وجيز ، ثم وقف يتفحص الردهة المظلمة الزرية .

وكان البيت ساكنا كالقفر الموحش ، فأرهف الرجل سمعه لحظة ، ثم سار إلى باب بجانب الباب الذي أغلقه ففتحه ودخل إلى غرفة عارية مقبضة ، ربما كانت فيما مضى غرفة زينة متصلة بالغرفة التي استأجرتها **دوروثي**" لعشيقها فلما قُسِّم البيتُ أقام بين الغرفتين حاجز خشبي .

وكان هذا الحاجز جليل الفائدة للرجل المجهول ، فقد كان في وسعه أن

يسمع من خلفه كل ما يدور في الغرفة الأخرى ، وهكذا أتيح له أن يقف على الخطة التي دبرها العاشقان لإخفاء السوارين ..

ولف "ن" السوارين بعناية في منديل ثم وضعهما في أحد جيوبه الداخلية، وبعد ذلك أخرج مظروفا وكتب رقعة إلى صاحبة البيت بأنه لم يعد في حاجة إلى الغرفة ، ثم ختمه ووضعه على المنضدة ..

وأخذ يجيل عينيه في الغرفة متقصيا لئلا يكون قد أغفل شيئا ، وإذا به ينتصب فجأة ويرهف سمعه إذ سمع من الغرفة المجاورة صرير مفتاح ثم فتح "باب" وإغلاقه .

تجهم وجه **"جون مون"** ، فما كان في حسابه أن يعجل **"ليون مارتيلي"** بموافاة عشيقته هكذا بعد أن وضع في سبيله من العراقيل ما يضمن تأخيره إلى الوقت الذي يلائمه .

وفتح **"جون مون"** نافذة غرفته في سكون وكان تحت حافتها تماما طنف عرضه أربعون سنتيمترا يدور حول البيت إلى نقطة يسهل القفز منها إلى سطح جراج مجاور .. ووقف عدة دقائق أمام النافذة منصتا ، فسمع حركة الأقدام في الغرفة من جديد ولكنها أشد سرعة ثم فتح الباب وأغلق بعد نصف دقيقة وانبعث صرير المفتاح في القفل .

هبط **"جون مون"** إلى الطنف وراح يدب على يديه ورجليه حتى بلغ نهايته، ثم وثب في خفة إلى سطح الجراج وعبره مسرعا وتدلى من حافته إلى الزقاق الذي تحته ، وبعد أن هم بالمسير عاد واعتزم البقاء عدة دقائق لمراقبة ما يحدث في البيت ، وكان في ركن الجراج زاوية صغيرة يستطيع أن يراقب منها البيت دون أن يراه أحد فقصد إليها .

كان في وسعه أن يرى من مكمنه أكثر غرف المنزل المطلة على ذلك الجانب، فلمح شخصا لم يعرف أرجل هو أم امرأة يظهر في هذه الغرفة ثم تلك كأنه

يطوف بغرف البيت جميعا باحثا مستقصيا ، وابتسم "**جون مون**" إذ علم أنه المقصود بالبحث والتفتيش ، ووجد في ذلك مدعاة إلى التفكه والتسلية .

وانقضى وقت طويل دون أن يرى شيئا جديدا فاعتقد أن ذلك الباحث يطوف بالناحية الأخرى من البيت ، وفيما هو يهم بمغادرة مكمنه والسير في طريقه ، رأى "**ليون مارتيلي**" يسير على الرصيف متجها نحو مدخل البيت .

قطب "**جون مون**" حاجبيه مفكرا .. لا ريب أن الشخص الذي رآه يطوف بالبيت لم يكن "**مارتيلي**" ، فمن عساه يكون ؟

وقر رأيه على البقاء ليراقب ما يحدث .

بيد أنه لم ينتظر طويلا ، فقد اندفع "**مارتيلي**" بعد دقيقة أو دقيقتين خارجا من البيت ، وراح يعدو كالمذعور الذي أخرجه الرعب عن صوابه .

وبعد ذلك بنصف ساعة كان "**جون مون**" يطيل النظر مفكرا إلى صورته في المرآة في الغرفة التي كان يتخذ منها قاعة للجلوس ومكتبا . وكان الوجه الذي يطالعه في المرآة مرحا متهللا يرتفع طرفا حاجبيه إلى أعلى نحو فوديه.

وكانت "**بوبي هيمرز**" تلاحظه وهي جالسة على مقعد عتيق فقالت :

– أشد ما أحب أن أعرف كيف تغير هيئتك هكذا ؟

أجاب "**جون مون**" :

– هذا من أيسر الأشياء ...

وسار إلى مغسل صغير في ركن الغرفة فأخرج من فمه قطعتين من المطاط كانتا لاصقتين بشدقيه ، ورفع من تحت شعره فوق الصدغين مباشرة قطعتين من الشمع بلون اللحم تماما ، ثم غسل رأسه وجففه وأخذ يمشط شعره ...

قالت " **بوبي هيمرز**" : ولكن هيئتك على الرغم من هذا كله لا تزال مختلفة اختلافا واضحا عما كانت عليه في هذا الصباح .

فخلع حذاءه ولبس خفاً بدلاً منه وقال :

– انظري إلى هذا الحذاء . . .

قالت :

– إنه حذاء عادي .

بيد أنها لم تكد تمعن فيه النظر حتى عدلت قائلة :

– كلا . . . إنه ليس حذاء عاديا . كم يزيد في قامتك ؟

– نحو بوصة ونصف ، وهي زيادة تكفل وحدها إحداث التباين العظيم في مظهري .

ثم ألقى بسترته المبطنة بحشو سميك على أحد المقاعد فقالت "**بوبي**" :

– ما أشد نحولك ! فضحك "**جون مون**" قائلا :

– إنهم يصفونني بأنني عريض المنكبين أدنى إلى الطول مني إلى القصر !

ثم فتح دولابا صغيرا في الجدار وملأ قدحين أعطاها أحدهما فقالت :

– أتراني أكون ذات فائدة لك ؟

– بل ستكونين ذات فائدة لا تقدر ، وسيذهب بك "**جو**" غدا إلى بيتك ، وأرجو ألا يغضبك أن أتخذ من الحيطة ما يكفل عدم معرفتك موقع هذا البيت . . .

فأشعلت سيجارة وقالت :

– إنك الزعيم وليس لي غير الإذعان والطاعة . . .

ما هي أول مهمة تكلها إلي ؟

– الحصول على بعض المعلومات وستعرفين غدا ، وأظن أنه من المناسب في هذه الظروف أن أعيد إليك عقدك .

– لو كان العقد مِلْكي حقا لبعثت في أثرك زبانية الجحيم ولما تركتك تنعم بلحظة من الهدوء والاستقرار قبل أن أسترده منك ، ولكني لا أحفل أبدا إذا سلبت ذلك العجوز أثمن ما عنده :

– ما شككت لحظة في أن هذا سيكون جوابك ، وما عرضت عليك إعادة العقد إلا من باب المجاملة والأدب.. ولكني سأزودك بعقد مقلد تقليدا محكما حتى لا يرهقوك بالأسئلة .

– شكرا . لقد كان هذا هو الذي يزعجني حقا ، أما من حيث المكان الذي كنت فيه هذه الأيام ، فلك أن تطمئن كل الاطمئنان إلى قدرتي على التخلص من هذرهم وفضولهم

◆◆◆◆◆

نظر "**دونوفان**" إلى آلة التليفون التي تئز أزيزا متصلا وهو ساخط متبرم . لقد كان يمني نفسه بيوم خال من المشاغل والمهام ، ويطمع في نيل قسط من الراحة والاستجمام ! ثم تنهد في تعب وكلال ، ورفع السماعة من مكانها وإذا بمحدثه يقول :

– السيد "**دونوفان**" ؟ دقيقة واحدة من فضلك .

وبعد قليل استأنف المتحدث كلامه قائلاً :

– أنا "**رنزو هيمرز**" ،. تعال إلى بيتي حالا . لقد اختفت السيدة "**هيمرز**" .

وأسرع "**دونوفان**" بارتداء ملابسه والذهاب إلى بيت "**هيمرز**" فألفاه في انتظاره في غرفة المكتبة ، وليس في وجهه ظل من التأثر أو القلق . ولكن كانت في صوته رنة الراحة عندما استقبل البوليس السري قائلا :

– يسرني تعجيلك بالحضور . اجلس وسأخبرك بما حدث .. بقدر ما يصل إليه علمي على الأقل .

فجلس "**دونوفان**" قائلا :

– هل انقضى على خروج السيدة "**هيمرز**" وقت طويل ؟

– لقد خرجت عقب الظهر لابتياع بعض الأشياء ، وتركها "**توني**" سائق سيارتي عند أحد المتاجر بعد أن طلبت إليه ألا يعود إليها لأنها ذاهبة إلى السينما بعد فراغها من مهمتها في المتجر ، وهذا آخر ما نعرفه من أمرها .

– ومتى كان ينتظر أن تعود ؟

– قبيل المساء ، وأهم ما يستوقف النظر في الموضوع أنها كانت تحمل سواريها الثمينين اللذين تعرفهما ، ولما بلغت الساعة العاشرة دون أن تعود سألت وصيفتها "**إيفا**" هل تعرف مكاناً يمكن أن تكون قد ذهبت إليه ؟ فأخبرتني أنها لا تعرف شيئا ، أتحب أن تسأل الوصيفة بنفسك ؟

قال "**دونوفان**" في هدوء :

– إذا سمحت بذلك .

ولا ريب أن "**إيفا**" كانت على استعداد في الغرفة المجاورة إذ أقبلت في الحال وعلى شفتيها ابتسامة تشف عن الفوز كأنها تقول : "قد نصحتها فلم تنتصح!" .

وجاء بعدها السائق "**توني**" وهو أسمر البشرة ، مفتول الساعدين ، أقرب في هيئته إلى الحراس والخفراء منه إلى سائقي السيارات ، وبعد أن روى كيف ذهب بالسيدة "**هيمرز**" إلى المتجر سأله "**دونوفان**" :

– أتعرف أين يمكن أن تكون قد ذهبت بعد ذلك ؟

فتردد السائق لحظة ثم أجاب :

– نعم يا سيدي .

ونظر إليه الرجلان في دهشة وسألاه بصوت واحد :

– أين ؟

وأطرق "**توني**" لحظة ثم قال :

– لقد داخلني الشك في أمر السيدة "**هيمرز**" مرة أو مرتين إذ كانت تخرج بعد ظهر كل يوم تقريبا بدعوى شراء بعض الحاجيات دون أن تبتاع شيئا ، وكان طبيعيا أن يثير هذا شكوكي .

فزجره "**دونوفان**" قائلا :

– دعنا من ملاحظاتك الشخصية وأجز في هذا الحديث الذي أعددته سلفا، هل اقتفيت خطواتها ؟

فحدجه السائق في حقد وقال :

– لقد أبحت ذلك لنفسي يا سيدي .

وسأله "**هيمرز**" :

– وإلى أين كانت تذهب ؟

– كانت تذهب عادة إلى حانة "البجعة الحمراء" .

فنظر "**دونوفان**" خلسة إلى وجه "**رنزو هيمرز**" فوجده جامدا لا تنم أساريره عن شيء مما يعتلج في نفسه من الانفعالات .

وقال "**هيمرز**" :

– استمر يا "**توني**" أظنها كانت تلتقي هناك بشخص ما ؟

– نعم يا سيد "**هيمرز**" .

– أتعرف من هو ؟

– إنه راقص محترف يدعى "**ليون مارتيلي**" .

وتصفح "**دونوفان**" دليل التليفون حتى اهتدى إلى رقم الحانة ، وقال عندما تم اتصاله بها :

– أريد محادثة "**ليون مارتيلي**" .

فأجابه صوت نسائي فاتر :

– إنه غير موجود الآن .

– هل يمكنك إعطائي رقم تليفون منزله ؟

– إني آسفة لعدم معرفتنا إياه .

فوضع "**دونوفان**" السماعة قائلا :

– إني أفضل الذهاب إلى الحانة ومقابلة مديرها فإني أعرفه .

واستقلوا السيارة إلى الحانة دون أن ينبس أحدهم بكلمة في أثناء الطريق ، وكان مدير الحانة شديد الرغبة في المساعدة ولكن معلوماته كانت قليلة محدودة ، فهو لا يكاد يعرف عن "**ليون مارتيلي**" أكثر من أنه راقص بارع يفتن النساء ، وها هو عنوانه ورقم تليفونه إذا كان فيهما فائدة .

واتصل "**دونوفان**" بالعنوان وقال للمرأة التي ردت عليه في شيء من التذمر إنه يريد محادثة السيد "**مارتيلي**" ، فأجابته أنه جاء حوالي الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم وأخذ حقيبته وغادر البيت قائلا إنه لا يعرف متى سيعود .

وقال مدير الحانة :

– ليس هنا سوى شخص واحد يعرف عنه شيئا .

ثم رفع سماعة إحدى آلات التليفون الخاصة بأقسام الحانة وقال :

– أرسلي إليّ "فلو" .

فسأله "**دونوفان**" :

– ومن تكون "فلو" هذه ؟

– إنها إحدى الراقصات ، وهي صديقة "**مارتيلي**" أو كانت كذلك . ولقد عاملها في نذالة أوغرت صدرها وأحفظها عليه ، وإذا كانت تعرف عنه شيئا فستفضي به إليك في الحال .

وما هي إلا بضع دقائق حتى جاءت الفتاة في ثياب الرقص فقال المدير :

– الآنسة "**ستار**" .. هذان هما السيد "**دونوفان**" والسيد "**هيمرز**" .

والسيد "**دونوفان**" بوليس سري ولكنه صديقي فأرجو أن تقدمي إليه كل مساعدة ممكنة .

أجابت الفتاة وهي ترفع شعرها المتهدل :

– إني طوع أمرهما .

وراحت تجيل بصرها في الرجلين فسألها "**دونوفان**" :

أتعرفين رجلا يدعى "**ليون مارتيلي**" ؟

فحدجته ببصرها وقالت :

سمعت به .

ثم حولت بصرها إلى "**رنزو هيمرز**" قائلة :

– أتحاول أستعادتها أم ماذا ؟

أجاب "**هيمرز**" :

– لا أفهم معنى لما تقولين .

فنظرت إليه الفتاة ساخرة ثم قالت وهي توليهما ظهرها :

– معذرة أيها السيدان فإني مضطرة إلى العودة إلى المرقص .

فقبض "**دونوفان**" على ساعدها وهي تهم بإدارة مقبض الباب وقال :

– إن الأمر جد لا عبث يا آنسة "**ستار**" .

– لماذا لا تستدعيان شرطيا لسؤالي إذن ؟

ثم أشعلت سيجارة واستدارت إلى "**هيمرز**" قائلة :

– ألست زوج "**دوروثي هيمرز**" ؟

فقال "**هيمرز**" في غيظ :

– بلى .. زوجها .

فقالت وهي تنفث سيجارتها في وجهه :

– لا عجب إذن أن تبحث عنها فقد حان لك أن تفطن إلى ما يدور بينهما. إنك البقرة الحلوب التي تدر ثمن الهدايا الثمينة التي تقدمها له ، وتدفع أجر ذلك العش الصغير الهنيء ، وتبتاع تلك البيجامات وثياب النوم الأنيقة الفاخرة.

دوت الصفعة على خد الراقصة في سرعة البرق الخاطف . وبعد ثانية واحدة كان "**هيمرز**" واقفا في مكانه كالتمثال ، وقد لاذت "**فلورنس ستار**" بالجدار في نهاية الغرفة وهي تحك خدها بيدها . وسرعان ما تمالكت روعها وصاحت كالنمرة الهائجة :

– لا ألومها على ما فعلت أيها الوغد القذر !

فقال المدير معتذرا :

– إني أسف إذا . .

وهتف "**هيمرز**" مغضباً :

– قل لها تلزم الأدب .

أما "**دونوفان**" فسار إلى الراقصة في تؤدة ، وهدوء ، ووضع يده على كتفها ملاطفا وقال :

– ليس الأمر كما تظنين أيتها الحبيبة ، ولا نطلب إلا الوقوف على بعض المعلومات فعسى ألا تخيبي رجائي .

فأجابت وهي ترشق "**هيمرز**" بنظرات يتطاير منها الشرر :

– إني لا أخيب قط رجاء شهم كريم ، وقد تكون أنت شهما كريما . ماذا تريد ؟

– أتعرفين أين كانت السيدة "**هيمرز**" تجتمع بـ"**مارتيلي**" هذا ؟

فضحكت الفتاة ضحكة جافة وأجابت :

– أعرف ؟ أتخالني ضريرة أم مقعدة ؟ لقد اقتفيت أثره مرارا .

– هل تتفضلين إذن بإرشادي إلى ذلك المكان ؟

– سأفعل هذا مرضاة لك أنت فقط . متى تريد الذهاب ؟

– الآن أيتها الحبيبة فإن الأمر مهم جدا .

– أفي عجلة أنت ؟ حسنا .. سأرتدي معطفي وأقابلك عند مدخل الحانة.

لم يتبادلوا كلمة واحدة حتى بلغوا البيت ، وراحوا يقرعون الجرس بشدة فاستيقظت صاحبة البيت من نومها ساخطة محنقة . وأخبرتهم أنها رأت السيدة الشقراء التي يصفونها بعد الظهر ، وهي تدعو نفسها الآنسة "**فورد**" . وقد جاءت في الساعة الثالثة إلا ربعا ولكنها لا تعرف متى انصرفت إذ إنه ليس من عادتها الاهتمام بأحوال السكان الشخصية ، ولهم جميعا أن يذهبوا إلى الغرفة إذا شاءوا .

وتقدمتهم على السلم ، ثم عبرت الردهة وفتحت باب الغرفة وهي لا تخفي استياءها من إيقاظها من النوم ...

وقال "**دونوفان**" :

– سأدخل أولا ..

ولم يكن يعرف ما قد يطالعه في تلك الغرفة ولكنه أراد أن يسبق "**هيمرز**" ، ووقف عند الباب يتحسس مكان الزر الكهربائي ، فلم يكد يضغط عليه حتى أرسلت "**فلورنس ستار**" صرخة مدوية ، فالتفت إليها قبل أن ينظر في الغرفة، وكان وجهها ممتقعا تعلوه صفرة الموتى على الرغم مما يكسوه من الأصباغ...

وأمسك "**دونوفان**" عن التنفس ، ونظر إلى حيث أشارت الفتاة ، وبعد لحظة ارتد ببصره إلى "**رنزو هيمرز**" قائلا :

– أرى ألا مناص الآن من استدعاء رجال البوليس ، فإن السيدة "**هيمرز**" ميتة.

- 3 -

كانت جثة "**دوروثي هيمرز**" مستلقية على المقعد في وضع يوهم الرائي بأنها تنبض بالحياة وإنما أخذتها سنة من النوم ، ولكن حبلا حريريا أزرق كان مشدودا بقوة وحشية حول عنقها ...

فلما استدار "**دونوفان**" إلى الواقفين بالباب ، كانت الراقصة "**فلورنس ستار**" أول من استرعى انتباهه ، إذ جمدت في مكانها واتسعت حدقتاها رعبا وهولا ، واستقر بصرها الزائغ على "**دونوفان**" فصاحت في صوت أشبه بالنحيب :

– لقد قتلها ! ما خطر ببالي قط أنه يفعل هذا !

وشخصت إليها أبصار الجميع وهم يجدون شيئا من الراحة في الانصراف عن منظر الجثة لحظة أو بضع لحظات ...

وسألها "**دونوفان**" :

– من الذي تعنينه بقولك إنه قتلها ؟ "**مارتيلي**" ؟

وكأن هذه العبارة نبهتها من دهشتها وذهولها ، فنظرت إليه بازدراء قائلة :

– كلا ! إنها كانت له موردا من المال لا ينضب فمحال أن يقتلها !

– من الذي تعنين إذن ؟

ولكنها أدركت أنها حادت عن القصد في الكلام فهزت كتفيها وأشاحت عنه بوجهها ولاذت بالصمت ..

ونظر إليها البوليس السري مليا فايقن أنه لن يستطيع أن ينتزع منها كلمة أخرى فالتفت إلى الجثة ثم انثنى إلى "**رنزو هيمرز**" قائلا :

– إني آسف يا "**هيمرز**" ..

ولكن "**هيمرز**" المالي الكبير قاطعه قائلا :

– امض في عملك حتى تنتهي منه ...

كان "**دونوفان**" يريد قبل كل شيء أن يعرف كيف ارتكبت الجريمة ، فوقف هنيهة يحدق إلى المرآة مفكرا .. لقد خنقت القتيلة بلا ريب بذلك الحبل الحريري الذي انتزع من ثوب حمام وهي جالسة في مقعدها ..

وقال في هدوء :

– لا تمسوا شيئا .. حبل من ثوب حمام ! أين الثوب إذن ؟

وتلفت حوله باحثا فرآه معلقا بجانب السرير ، وهو ثوب أزرق زاه يدل على ولع "**مارتيلي**" بالألوان القوية الصارخة ..

وقطع عليه تأملاته فجأة صوت "**هيمرز**" وهو يقول :

– والسواران يا "**دونوفان**" .. هل ضاعا ؟

– سنرى ... أين حافظة نقود القتيلة ؟ لعلها ضاعت كما ضاع السواران. ولكن لا ، فها هي ملقاة على الأرض بجانب المقعد .

وتناولها "**دونوفان**" ففتحها وراح يتحسس ما بداخلها ثم قال :

– كلا .. ليس السواران هنا ، ولكن ربما كانت السيدة "**هيمرز**" قد تركتهما عند الجوهري كما كانت تنتوي ؟

قال "**هيمرز**" :

– إني أشك في ذلك كثيرا .

كان هذا هو رأي "**دونوفان**" أيضا وإن لم يصرح به ، وقال :

– إذا صح هذا فإن ..

ولكنه لم يتم عبارته بل هتف فجأة :

– الفتاة .. أين هي لقد اختفت الراقصة "**فلورنس ستار**" .

وأسرعوا جميعا إلى الردهة ولكنهم وجدوها خالية ، واتصل "**دونوفان**" من هناك بإدارة البوليس تليفونيا وأدلى إليهم بتفاصيل الجريمة في سرعة وإيجاز، وأضاف إليهم وصفا دقيقا للراقصة التي اختفت فجأة على هذا النحو العجيب، وعندما عاد بعد ذلك إلى غرفة الجريمة قال "**هيمرز**" فجأة :

– والصحف . .

فهز "**دونوفان**" رأسه أسفا وأجاب :

– ليس في وسعك كتمان مثل هذا الحادث الخطير عن الصحف ، ولا مناص لك من تجشم شيء من الألم .

وتذكر إذ ذاك أمرا فاته فأسرع إلى التليفون ثانية واتصل بالصحفي الشاب "**توم كِلارك**" وقال :

– "**توم**" ؟ لقد قتلت "**دوروثي هيمرز**" ٤٤٤٧ شارع "**الكتون**" . رجال البوليس في طريقهم إلينا .

لقد بذل للصحفي الشاب وعدا ولا يجمل به خلف الوعد ، ثم إن الحادث سيبلغ إلى الصحف على كل حال .

ولما عاد إلى الغرفة كان "**رنزو هيمرز**" لا يزال واقفا كالتمثال الذي لا حس به ولا حراك وهو شاخص إلى القتيلة فيما يشبه الحيرة والارتباك .وقال :

– ليس ثمة من شك في أن صاحب هذه الجريمة هو . . . ذلك الرجل المجهول .

فلم يجب "**دونوفان**" بل راح يتنقل في أنحاء الغرفة باحثا منقبا وهو لا يكاد يرجو العثور على شيء وبينما هو في هذا البحث الدائب دوت في الشارع أبواق سيارات البوليس ، وتلتها حركة أقدام تصعد السلم ، ثم اندفع إلى الغرفة في وقت واحد "**توم كلارك**" الصحفي والمفتش "**جاريتي**" من إدارة المباحث الجنائية .

ولم يستغرق اطلاعهما على تفاصيل الجريمة أكثر من دقيقة أو دقيقتين ، فقد كانت آثارها قائمة بين أيديهما تغني عن كل شرح وبيان ، ثم ذهبوا إلى صاحبة البيت فأدلت إليهم بوصف الشاب الذي كان يشغل الغرفة المجاورة لغرفة الجريمة ، وقد استأجرها منذ أسبوع وتركها اليوم ، وراحت تؤكد لهم أنه ليس من طبعها التطفل والفضول ، ولكنها مع ذلك لاحظت شيئا من الغرابة في أحوال ذلك الساكن إذ لم يكن يمضي في غرفته سوى أوقات قصيرة جدا ولم يبت بها ليلة واحدة ..

أجل .. إنه أشقر ، وله وجه مستدير يبعث على الضحك ، وحاجبان عجيبان ينثني طرفهما إلى أعلى ، وهو أدنى إلى الطول منه إلى القصر ، عريض المنكبين ، وقد غادر الغرفة اليوم وترك لها رقعة يقول فيها إنه لم يعد في حاجة إليها ، ولا تزال الرقعة عندها فيما تظن .

وبعد بحث طويل في مختلف الأدراج والدواليب والرفوف والسلال عثرت على الرقعة ، ولم يكن ثمة مجال للشك في شخصية صاحب ذلك الخط الواضح المائل، فهو الرجل الذي يوقع بالحرف "ن" .

لم يخالج :**دونوفان**" أي ريب في ذلك ، ولم يخالجه أي ريب في أن السوارين الآن في حوزة ذلك الرجل الغامض .

ولكن القتل ! إن المنطق والغريزة لا يغنيان شيئا في استجلاء الحقيقة في هذا الأمر الغريب ، "و**دونوفان**" لا يستطيع إقناع نفسه بأن هذا الرجل الذي لا يسرق إلا ليعيد الأموال المغتصبة إلى أصحابها سفاح أثيم ، ولكنه أمام أدلة مادية لا سبيل إلى تأويلها أو المماراة فيها .

ونهض المفتش "**جاريتي**" قائلا :

– في وسعنا الآن أن نعرف على وجه الحدس والتخمين على الأقل من هو القاتل .

ألا ما أشد ما سيبوء به "**دونوفان**" من الخيبة المريرة والأسف إذا ثبت أن الرجل الذي يوقع بالحرف "ن" ليس إلا شقيا من عامة الأشقياء الذين يرتكبون جرائم الخطف والاغتيال ..

◆◆◆◆◆

أضاء "**دونوفان**" مصباحا آخر وهو يمد ساقيه في تعب وكلال ، وطلب إلى المفتش "**جاريتي**" و"**توم كلارك**" أن يستريحا ثم هتف مناديا :

– "**مادلين**" !

فلما أقبلت الخادمة العجوز قال لها :

– إلينا بالشراب وكمية كبيرة من السندوتش .

ولم يشيروا إلى مصرع "**دوروثي هيمرز**" بكلمة حتى ازدردوا بضع كؤوس من الشراب والتهموا كل ما جاءت به الخادمة من الشطائر ، ثم نظر المفتش "**جاريتي**" إلى "**دونوفان**" والصحفي الشاب قائلا :

– لست أدري ما الذي يعسر عليكما فهمه في هذه القضية وهي واضحة لا غموض فيها ولا التواء إن "ن" هو صاحب هذه الجريمة دون سواه ، فقد كان "**هيمرز**" هو الرأس المدبر لتلك الكارثة التي هزت السوق المالية هزة عنيفة وجرت الخراب والدمار على كثير من المستثمرين فمن الطبيعي أن يكون هذا الرجل المجهول أشد حقدا على "**هيمرز**" دون بقية شركائه ، وهو لهذا السبب لا يجد ما يشفي غليله في سرقة "**هيمرز**" ، بل يخطف ابنته أولا ، ثم يقتل زوجته أيضا .

فقال "**دونوفان**" في كلال :

– هذا منطق مستقيم ، ولكن لماذا لم يقتل "**هيمرز**" نفسه بدلا من البطش بامرأتين بريئتين ؟

أجاب مفتش المباحث في شيء من الزهو والخيلاء :

– هنا يتجلى مكره الشيطاني يا "**دونوفان**" .. إنه لا يكفيه أن يرى "**هيمرز**" جثة هامدة بل يريد أن يراه فريسة للحزن والشقاء وهو على قيد الحياة .

ولم يقل "**دونوفان**" شيئا بل أشعل غليونه في تمهل وراح يلحظ صديقه القديم. واستطرد المفتش "**جاريتي**" قائلا :

– إن القرائن كلها تتجه إلى اتهامه ، فنحن نعلم أنه استأجر الغرفة المجاورة للغرفة التي وقعت فيها الجريمة ، ونعلم أنه كان هناك بعد الظهر ، ونعرف كذلك أنه أنذر "**هيمرز**" بسرقة السوارين وقد فقدا بالفعل .

فقال "**دونوفان**" :

– أجل .. إن جميع الظواهر تؤيد هذا الرأي ، ولم يبق عليكم الآن إلا أن تهتدوا إليه وتقبضوا عليه .

قال المفتش :

– سنهتدي إليه بلا ريب ، فإن لدينا أوصافه كاملة ، ولا يمكن أن يكون في "**نيويورك**" بأسرها رجلان تنطبق عليهما هذه الأوصاف .

فقال "**دونوفان**" في هدوء :

– أتمنى لك كل توفيق .

وازدرد المفتش "**جاريتي**" كأسه ثم أخذ قبعته وسار نحو الباب قائلا :

– لكما أن تقضيا الليل كله إذا شئتما في النقاش والجدل حول هذه القضية، أما أنا فواثق من أني أعرف حقيقة ما حدث وسآوي إلى فراشي مطمئنا ناعم البال .

ونهض "**توم كلارك**" بعد انصرافه فتمطى وتثاءب ، ثم ملأ كأسا جديدة وقال:

– أتتعاون في هذا الحادث مع رجال البوليس أم تعتزم العمل مستقلا ؟

فتنهد "**دونوفان**" وقال :

– لا أدري .

وجلس الصحفي الشاب قائلا :

– إن في هذه الجريمة كثيرا من الأمور التي نجهلها ..

فأولا من هو الرجل الذي يوقع بالحرف "ن" ؟

أجاب "**دونوفان**" وقال في كلال :

– هذا ما أحاول معرفته منذ زمن بعيد .. وكان "**توم كلارك**" يعد أسئلته على أصابعه الطويلة فقال :

– وأين يكون الآن عشيق "**دوروثي هيمرز**" وما الذي حمله على الفرار عقب مصرعها .

– فأجاب "**دونوفان**" :

– إن لك مالي من المقدرة على الحدس والتخمين ، وحبذا لو تفضلت بالجواب عن السؤال !

– إن رأيي هو أن ذلك الرجل لم يقتل عشيقته ، وأنا خبير بهذا الصنف من الرجال ، فهم يسرقون ويستغلون ويبتزون ولكنهم لا يقترفون جرائم القتل .

وصمت الرجلان قليلا ثم أردف "**توم كلارك**" :

– إن صورة الغرفة التي حدثت فيها الجريمة ينقصها شيء لكي تتلاءم أجزاؤها ، وإني لأعرف النقص وإن كنت عاجزا عن تعليله ، هل نظرت جيدا في وجه القتيلة ؟

ففتح "**دونوفان**" فمه وأطبقه دون أن يقول شيئا .. لقد أصاب الفتى ما كان يشغله ويحيره ، لقد شعر كذلك أن في الصورة نقصا ، ولكنه يعرف الآن ما الذي ينقصها .

لقد رأى قبل ذلك كثيرين ممن ماتوا خنقا ، ولا يزال منظر أعينهم ماثلا في خاطره ، واضحا أتم الوضوح ، لقد كانت عيونهم جميعا محملقة جاحظة تكاد تبرز من محاجرها وقال في تؤدة :

– أصبت .. إن عينيها كانتا مغمضتين في شكل طبيعي هادئ كأنها مستغرقة في سبات عميق .. وهذا أمر مستحيل .. ولكنه الواقع !

◆◆◆◆◆

جلس "**جون مون**" على صندوق خشبي في غرفة صغيرة بقبو بيته ، وهي غرفة مجهزة كمصنع صغير بسيط ، وفي نهايتها "بنك" خشبي كبير وقف أمامه رجل ضئيل الجسم أعرج تجاوز طور الكهولة ، وقد اشتعل رأسه شيبا ، وتغضن وجهه غضونا عميقة ، بيد أن أصابعه كانت قوية سريعة الحركة ، وقد أمسك بها ماسة ثمينة وراح يقلبها تحت ضوء مصباح قوي يتدلى من السقف.. وقال "**جون مون**" :

– إنه لمن العار تكسير السوارين ، ولكن ليس أمامنا من ذلك بد فيما أعتقد . . .

فأومأ الجوهري النحيف برأسه قائلا :

– سأخبرك في صباح الغد كم تستطيع الحصول عليه ثمنا للأحجار فإنها نفيسة جدا .

راح "**جون مون**" يلاحظ الشيخ في صمت وفي يده صندوق صغير مبطن بالحرير ، وهو يقلب محتوياته من وقت إلى آخر في غير اكتراث ، مع أنه كان يحوي تسعة من أثمن أحجار الزمرد في العالم بأسره . .

ونظر إليه "**ماركوس**" الجوهري الأعرج وعلى فمه ابتسامة شيطانية وقال : إنك غير مغرم بالأحجار الكريمة .

أجاب "**جون مون**" :

– كلا .. أرني العقد ..

فناوله "**ماركوس**" القطعة التي يعمل فيها ، ولم تكن قد تمت بعد ولكن معظم الأحجار المقلدة ركبت في مواضعها ، وتأملها الشاب مليا في الضوء الساطع ، ثم أخرج أحد أحجار الزمرد من الصندوق الصغير وأخذ يقارن بينه وبين العقد..

وقال وهو يعيد العقد إلى الجوهري الأعرج :

– إنه تقليد محكم يقوم مقام الأصل ، وهو يبدو حقيقيا لغير الناقد الخبير.

فأجاب "**ماركوس**" غاضبا :

– ليس في العالم كله سوى ستة خبراء يستطيعون اكتشاف حقيقة هذا العقد..

أجاب الشاب مبتسما :

– عفوا ، فقد نسيت أنك من العباقرة الأفذاذ..

واقتصر "**جون مون**" على ملاحظة ذلك الأعرج وهو يتم مهمته لقد كان "**ماركوس**" في وقت من الأوقات من أشهر تجار الجواهر في لندن ، ولكنه اتهم ظلما في إحدى الفضائح الكبرى وكاد يحكم عليه بالسجن ، فأنقذه "**جون مون**" وجاء به إلى "**نيويورك**" ، وهو الآن يعمل مع الشاب ويجود بحياته في سبيله إذا طلب إليه ذلك عن طيب خاطر .

وسأله "**جون مون**" :

– متى تفرغ من العقد ؟

أجاب الشيخ :

– بعد بضع دقائق ، وسأصعد به إليك .

فتركه "**جون مون**" وصعد إلى الطابق الأعلى ، ثم وقف أمام غرفة "**بوبي**" ، وكان الباب مفتوحا والفتاة واقفة بجانب المنضدة مربدة الوجه بادية الانفعال ، وما كادت تراه حتى هتفت :

– ما كنت أعلم أن القتل من خططك !

حملق فيها هنيهة ثم دخل الغرفة قائلا :

– القتل ؟

وألقت الفتاة في وجهه بإحدى الصحف دون أن تجيب ، فألقى نظرة سريعة على العناوين ثم استند إلى الباب وأخذ يقرأ ما تحتها : "وجدت السيدة "**رنزو هيمرز**" زوجة المالي المعروف مقتولة" .

ولم تذكر الصحيفة شيئا عن الرجل الذي يوقع بالحرف "ن" ولاعن السرقات السابقة واختفاء "**بوبي هيمرز**" بل قالت :

"وقد فقد سواران ثمينان من الماس كانا مع القتيلة ، ويعتقد رجال البوليس أنها استدرجت إلى ذلك البيت بوسيلة ما حيث قتلت وسرقت "

وابتسم "**جون مون**" ابتسامة ساخرة ثم مضى في القراءة :

ويبحث رجال البوليس عن "**ليون مارتيلي**" صديق القتيلة و"**فلورنس ستار**" الراقصة في حانة "البجعة الحمراء" لسؤالهما فيما يتصل بالجريمة " .

نظر "**جون مون**" إلى "**بوبي**" فرأى شفتيها تتحركان بكلمة "قاتل" دون أن تنطق واستطاعت أن تقول بعد برهة :

– لقد كنت أمقتها ويسرني موتها ، ولكن . . .

وخطا "**جون**" نحوها فهتفت في ذعر :

– لا تقترب مني !

فقال متجهما :

– يحزنني أن تفهمي الأمر على هذا الوجه .

واستدار لينصرف ولكنه وقف عند الباب قائلا :

– سأضع الترتيب اللازم لإعادتك إلى بيتك فور الانتهاء من العقد .

وقصد إلى مكتبته كاسف البال إذ كان يعتقد أنها أصدق من هذا نظرا ، وجلس في مقعده لحظة عابس الوجه منقبض الأسارير ، فما كانت مشكلة "**بوبي هيمرز**" هي وحدها التي تثقل فكره ، إن الصحف تتعمد الآن إغفال الإشارة إلى الرجل الذي يرمز إلى نفسه بالحرف "ن" بوحي من رجال البوليس لأنهم يعتقدون أنه القاتل .

ولم تمض أكثر من خمس دقائق حتى أقبلت "**بوبي هيمرز**" وقالت في صوت هادئ وإن لم يذهب امتقاع وجهها :

– إني آسفة .

فتفرس فيها "**جون مون**" طويلا ثم قال :

– أأفهم من هذا أنك عدلت عن الاستقالة من عملك الجديد ؟

– أجل . . ما كنت لأتخلى عنك ، ولا سيما في الوقت الحاضر الذي قد تحتاج فيه إلى كل مساعدة ممكنة .

– يا لك من فتاة كريمة !

– ولكن لماذا جازفت بقتلها ؟

فنظر إلى وجهها الممتقع وعينيها المضطربتين وقال :

– أتعتقدين أنني قتلتها وترغبين على الرغم من ذلك في الاستمرار معي ؟

أجابت في هدوء :

– ولم لا ؟ إنني واثقة بك ، ولا ريب أنه كان لديك من البواعث القوية ما يبرر ما فعلت .

وضمها بين ذراعيه وقبلها في حرارة وهي متعلقة به ثم ابتعد عنها فجأة وهو يقول :

– عفوا . . . فما كان هذا في الصفقة التي عقدناها ولكني لم أستطع مغالبة شعور فجائي طغى عليّ .

وأشعل سيجارة ووقف ينظر من النافذة بضع دقائق ثم عاد إلى الكلام قائلا :

– ولكني لم أقتلها يا "**بوبي**" .

وانثنى إليها فرأى في وجهها أمارات الدهش والعجب خالصة من كل ما ينم عن الشك والريب ، وراح يقص عليها كل ما حدث في اليوم السابق وهي مصغية إليه كل الإصغاء وقالت عندما انتهى من كلامه :

– إن "**مارتيلي**" هو القاتل بلا ريب .

– ربما كان الأمر كذلك ، ولكن كان من السهل أن ينسل مئات من الناس إلى ذلك البيت بعد أن غادرته دون أن يراهم أحد .

– ولكن من كان يفكر في قتلها ؟ نعم إن كثيرين كانوا يتمنون موتها ، ولكن من كان يعرف بوجودها في ذلك البيت ؟

– إني كنت أعرف ذلك ، ومن السهل أن يعرف سواي أيضا .

فأطرقت الفتاة لحظة ثم قالت :

– نعم ، لا ريب أن هناك من وقف على سرها ، فإني لأرى الآن بعد إمعان الفكر أن "**مارتيلي**" لا يمكن أن يكون قاتلها .

– امضي في تفكيرك فإنك على صواب .

– ما كان ليفعل ذلك بحال من الأحوال وقد كانت له بمثابة معين لا ينضب من المال ، وفضلا عن ذلك فإنه لم يكن الشخص الذي رأيته من الخارج يطوف بغرف البيت مفتشا إذ إنك أبصرت "**مارتيلي**" يدخل البيت بعد ذلك، وقد رأيته يغادره بعد لحظة وهو يكاد يجن رعبا ، فلا ريب أنه عند دخوله وجدها ميتة .

– هذه استنتاجات رائعة ويغلب على ظني أنها صحيحة كان من الطبيعي

أن تذهب نفسه حسرة حين يراها جثة هامدة على غير انتظار وقد ضاع السواران..

– ولا ريب أنه اختفى خوفا من أن يتهم بقتلها فليس ثمة أي تعليل آخر لاختفائه .

– ليس أمامي غير طريقة واحدة لإثبات براءتي من هذه الجريمة النكراء ، هي أن أجد القاتل دون أن أظهر شخصيتي .

أما أنت ..

وكف عن الكلام وتقدم نحو الباب هاتفا :

– "**جو**" !

وعاد قائلا :

– لا أشك أنك ستعجبين بـ"**جو**" .. وقد كان قبل أن ألتقي به مصارعا محترفا فمهربا للخمور فلصا على التوالي ، وهو ليس بالوسيم الهيئة ولكنه أخلق الناس بالثقة والاطمئنان .

وسرعان ما أقبل "**جو**" ، وهو عملاق ضخم بشوش الوجه ، له أنف مكسور، وعينان لامعتان زرقاوان ، وقال له "**جون مون**" :

– ستأخذ هذه الآنسة إلى بيتها يا "**جو**" ، فعليك أن تتم هذه المهمة دون أن تمكنها من معرفة منظر هذا البيت من الخارج ولا موقّعه ، وليس هذا لأنني لا أثق بها ، بل حرصا على سلامتها ونأيا بها عن مواطن الخطر .

قالت "**بوبي**" :

– إنك الزعيم والرأي ما رأيت .

فقال "**جو**" :

– اعتمد عليّ في ذلك .

وبعد انصرافه قال "**جون مون**" :

– سأطلعك على ما أريد منك القيام به وستتلقين تعليماتي ، والآن هيا بنا ننزل لتأخذي عقدك ..

◆◆◆◆◆

كان "**جو**" المصارع المحترف السابق جاثما على حافة المنضدة في غرفة نوم "**جون مون**" ، وعلى وجهه الدميم ابتسامة ماكرة ، وقال في خبث :

– إنها ستخلق منك رجلا جديدا ..

ونظر "**جون مون**" في نفور واشمئزاز إلى لفافة صغيرة كان يقلبها بين يديه وقال في أسف :

– هذا هو المقصود .

فقال "**جو**" :

– ويمكن إزالتها بسهولة ..

وأخذ "**جون مون**" يمزق طرف اللفافة فقال "**جو**" :

– يجب أن تبل شعرك أولا طبقا للتعليمات ..

فغمس الشاب رأسه في إناء للغسيل ثم أفرغ محتويات اللفافة في الإناء وقلبه قليلا وغمس رأسه فيه ثانية .

فلما رفع رأسه كان شعره الذهبي قد سار أسمر داكنا . وقال "**جو**" :

– حسن ، ولكن يجب أن تصبغ حاجبيك أيضا .

– وكيف يمكن ذلك بحق السماء ؟

– بواسطة فرشاة أسنان ، وسأتولى صبغهما .

ولما فرغ من ذلك ، أخرج الشاب قطعتين رقيقتين من المطاط دسهما في فمه فتبدل شكل وجهه تماما إذ صار مستديرا قصيرا .. وتمت الصورة حين وضع

على عينيه نظارة ذات عدستين كبيرتين مستديرتين . .

ونظر في المرآة فرأى شابا أسمر الشعر ، مستدير الوجه ذا عينين نجلاوين بريئتين وعليه مظاهر السذاجة حتى ليخاله المرء طالبا أو أستاذا مساعدا بإحدى الجامعات .

ووضع في جيبه الأمامي عدة أقلام رصاص وقلم حبر كبير الحجم وتأبط دفتر مذكرات فلم تعد الصورة في حاجة إلى شيء من الصقل أو التهذيب . .

كان الشرطي "**أوميرا**" يشعر بالضيق والضجر إذ تركوه في الحراسة وحده بلا عمل يشغله في وقفته ومد بصره في جد واهتمام إذ رأى رجلا صغير الجسم ، منحني المنكبين يسير في الردهة في تردد وإحجام . . وهتف الشرطي :

– أين تظن نفسك يا صاح ؟

فوثب الرجل الصغير كالأرنب المذعور وقال :

– آه ! أشد ما أفزعتني إذ لم أرك !

وحدجه "**أوميرا**" بنظرة فاحصة ثم قال في برود :

– حسنا ماذا تريد ؟

أجاب الرجل في استجداء :

– عفوا . . ولكن . . أليس هذا هو المكان الذي قتلت فيه السيدة "**هيمرز**" ؟

فأومأ الشرطي برأسه قائلا :

– أجل . . في تلك الغرفة عينها ولكن ما شأنك أنت وذاك ؟

فسعل الرجل معتذرا وقال :

– إن دراسة الجرائم إحدى هواياتي ، فإذا ما حدثت جريمة من الجرائم ، جمعت كل ما تكتبه عنها الصحف ، وعكفت على فحصه وتمحيصه حتى

أستجلي سرها وأكتشف غوامضها ، ثم أقارن بين ما أصل إليه من النتائج وبين ما تكشف عنه جهود رجال البوليس فيما بعد .. وإنه ليدهشك أن تعرف مدى ما أصبت في أكثر الأحوال من التوفيق والنجاح .

– لا ريب أن ذلك سيدهشني حقا !

وتطوع الرجل الصغير بتقديم نفسه قائلا :

– إن اسمي "**ألبرت بونس**" ..

فتثاءب "**أوميرا**" وقال :

– حسنا يا سيد "**بونس**" ، إنني آذن لك بتجميع جميع قصاصات الصحف وإجهاد قريحتك في التفكير في هذه الجريمة ، ولكن في وسعي أن أعفيك من هذا الجهد الشاق ، فإننا نعرف القاتل ونبحث عنه .

قال السيد "**ألبرت بونس**" متأسفا :

– ولكن ألا يمكن أن يكون ثمة شيء من الخطأ ؟

– هذا محال ، فقد حفظت أوصافه هذا الصباح وأرجو أن أكون أول من يلتقي به .

– لا أخال أنني أستطيع إلقاء نظرة على الغرفة ؟

– كلا فإن لدي أوامر صارمة بمنع أي إنسان من الاقتراب منها ، فانصرف لشأنك .

فانصرف الرجل الصغير كاسف البال والشرطي يشعر بشيء من الرثاء لهذا الطفل الكبير ، بيد أنه لم يكد يغيب عن بصره حتى شعر "**أوميرا**" فجأة بثقل في جفنيه وفتور في أعضائه وميل شديد إلى النوم ، فقر في مقعده وهو يحسب أن ما به من تأثير شدة الحر ، وسرعان ما استغرق في سبات عميق فلم يسمع ما انبعث من الأصوات في الغرفة التي خلفه .

ولقد عينه رؤساؤه لحراسة البيت بمفرده وقد غفلوا عن وجود سور عريض

يدور حول البناء من الخارج ، وأن المسافة التي بينه وبين سطح الجراج المجاور للمنزل قصيرة يسهل قفزها على شاب رياضي خفيف الحركة.

وأفاق الشرطي "**أوميرا**" بعد ذلك مرتاعا من تهاونه وإخلاله بواجبه ، راح يحمد حسن حظه إذ لم يكتشف نومه أحد ، ولكنه كان متعجلا بعض العجلة في هذا الحمد .

بيد أنه لم يعرف أحد أن هذا البيت كان فيه زائر غير مرغوب فيه إلا عندما أطل المساء وجاء المفتش "**جاريتي**" لمعاينة مكان الجريمة مرة أخرى ، وكان من الممكن مع ذلك أن تظل هذه الزيارة مجهولة لولا أن المفتش اكتشف ضياع رقعة من الورق موقعة بالحرف "ن" كانت موضوعة على المنضدة في الغرفة التي كان يستأجرها ، كما قصت بضعة سنتيمترات من الحبل الحريري الأزرق الذي خنقت به "**دوروثي هيمرز**" ..

◆◆◆◆◆

ظل "**دونوفان**" وقتا طويلا يحدق إلى فرخ كبير من الورق على مكتبه ، وهو يضيف بين الفينة والفينة كلمة أو بضع كلمات إلى ما كتب عليه .

وكانت الورقة مقسمة بخط سطر في وسطها ، وقد سطرت على جانبي الخط ملاحظات مكتوبة بخط "**دونوفان**" الواضح الأنيق كما يلي :

1 – ليس ثمة ما يدعوك إلى قتل السيدة "**هيمرز**" بعد سرقة السوارين.

2 – إذا كان الانتقام هو الدافع له فلماذا لا يهاجم "**هيمرز**" مباشرة بدلا من زوجته ؟

3– اختفاء "**مارتيلي**" ، إن السيدة "**هيمرز**" ذهبت إلى هناك لمقابلته .

4– لماذا أخذت السوارين إلى تلك الغرفة ؟

5– ماذا يمكن أن يكون في ماضي "**دوروثي هيمرز**" ؟

6– إنه أنذر بسرقة السوارين من السيدة "**هيمرز**" .

7 – اختفى السواران ، وهذا دليل على أنه أنفذ وعيده .

8 – نظرية "**جاريتي**" في الانتقام ؟

9 – كان يشغل الغرفة الملاصقة للغرفة التي قتلت فيها السيدة "**هيمرز**" .

10 – مسلك "**فلورنس ستار**" ولكنها ربما لم تكن تعني "ن" بقولها إنه قتلها.

11 – اختفاء "**بوبي هيمرز**" (أم قد لا يكون لهذا صلة بالجريمة؟)

وهز "**دونوفان**" رأسه وهو يتنهد ، إن دفاعه عن الرجل الذي يرمز إلى نفسه بالحرف "ن" ضعيف متهافت .

وتحول ببصره إلى فرخ آخر مملوء بالملاحظات ، ولكنها كانت كلها في صيغة السؤال ، ما يدري "**دونوفان**" أي كفة يرجح إذا قيض له أن يظفر بالجواب .

وراح يتصفحها من جديد :

1 – لماذا كانت عينا القتيلة مغمضتين ؟

2 – ما الذي يعرفه "**ليون مارتيلي**" ؟

3 – لماذا فرت "**فلورنس ستار**" ؟

4 – من الذي كانت تعنيه بقولها إنه قتلها ؟

5 – من هو "ن" ؟

وكان في أدنى الصفحة سؤال كأنه أضيف إلى الأسئلة المتقدمة بعد إمعان النظر والتفكير :

6 – ما الذي حدث لـ"**جون كازاليس**" ؟

وقرأ "**دونوفان**" الصحيفة مرتين ثم أضاف إليها سؤالا جديدا لم يلبث أن وضع تحته خطا بعد شيء من التروي :

7 – لماذا يرمز إلى نفسه بالحرف "ن" ؟ ولم يلبث أن وضع الورق جانبا وهو يقول :إن لدي الأسئلة كلها ولكني لا أعرف لها جوابا .

ومر بخاطره بعد ذلك "**جون بورتر**" الذي لا يزال حرا طليقا في مكان ما ، فأخذ من الدرج برقية مدير المستشفى وتلاها من جديد لقد اتخذ كل ما في الإمكان لاعتقال المجنون الهارب ، ولكن هذا لم يكن بالأمر السهل إذ إن ذلك المجنون يبدو لمن لا يعرفه في أتم حالات العقل ، كما أنه حاذق بارع ماكر شديد الدهاء .

يبدو أنه عظيم الخطر متعطش إلى سفك الدماء ، وقد كانت العودة إلى "**نيويورك**" من أعراض جنونه البارزة ، ولا يبعد أن يكون قد تمكن من ركوب إحدى السفن ، وقد أُرسِلَ وصف دقيق له إلى إدارة البوليس في "**نيويورك**" وإلى الدوائر الجمركية .

إن "**جون بورتر**" كان أشد المستثمرين تأثرا بما فعل "**هيمرز**" وشركاؤه ، فإن ثروة أسرته لم تذهب بأسرها فحسب ، بل فقد الشاب كذلك أباه وأمه جميعا، فلا عجب إذا كان المسكين قد جن ، وقد تولى صديق كريم لا يعرفه حتى "**دونوفان**" سداد مصاريف المستشفى الذي نزل به الشاب المنكود ..

وقد وصف الطبيب المريض الهارب بشدة الحذق والدهاء ، وقد كان "**جون بورتر**" أكثر من ذلك قبل أن تغشاه تلك الغاشية .. كان شابا ألمعيا مولعا بدراسة الإجرام بصفة خاصة ..

أيمكن أن يكون قد شفي من جنونه ؟ إن الأطباء كثيرا ما ثبت خطؤهم ، وإذا كان "**جون بورتر**" هو الرجل الذي يرمز إلى نفسه بالحرف "ن" فإن هذا يبدد ما يكتنف مقتل "**دوروثي هيمرز**" من الغموض والخفاء ..

ولكن سرقة جواهر "**جيفورد**" حدثت قبل هروب "**جون بورتر**" من

المستشفى، فإذا لم يكن "**جون بورتر**" هو "ن" فمن يكون بحق شياطين الجحيم ؟

وقطع عليه تفكيره دخول الصحفي "**توم كلارك**" في ضجته المعتادة ، وبعد أن اطمأن به المجلس سأله "**دونوفان**" :

– هل من جديد ؟

– كثير جدا .. إن "**إيفا**" وصيفة المرحومة السيدة "**هيمرز**" فتاة رقيقة الجانب أنيسة المعشر ، أو قل إنها غدت كلفة بي لا تطيق فراقي ، وإني لأعجب أحيانا لما أصيب من التوفيق عند الحسان ...

فانتهره البوليس السري قائلا :

– دعنا الآن من سلطانك على النساء ، ماذا قالت لك ؟

– عدة أشياء .. أولا ، إن "**رنزو هيمرز**" كان يعلم بسوء سير زوجته ..

– لقد خطر لي ذلك ..

– ثانيا ، إن "**دوروثي هيمرز**" خرجت أمس لتعطي خليلها السوارين ..

فرفع "**دونوفان**" حاجبيه دهشة وعجبا ، ومضى "**توم كلارك**" في حديثه قائلا :

– إن "**إيفا**" الصغيرة ذكية أريبة لا يفوتها شيء ، وقد استطاعت أن تقف على الخطة كلها ..

– أية خطة ؟

– كان "**مارتيلي**" يبتز نقود عشيقته ، بطريقة رقيقة مهذبة بالتأكيد .. فلما تلقى "**هيمرز**" تلك الإنذارات الموقعة بالحرف "ن" تفتق ذهن "**مارتيلي**" عن خطة ماكرة لإخفاء السوارين بحيث يبوء "ن" باللوم كله !

فصمت "**دونوفان**" هنيهة ثم قال :

– هذا إذن سبب حملها السوارين إلى ذلك البيت ولكن هذا لا يعلل مع

ذلك استئجار "ن" للغرفة المجاورة ..

– رأيي أن "ن" وقف بطريقة ما على ما بيته العاشقان فعمل على استغلاله لصالحه ، ولكن هذه الضجة التي أحاطت بمقتل "**دوروثي هيمرز**" صرفتنا عن اختفاء ابنته "**بوبي**" ..

ونظر إلى البوليس السري ، فلما لم يجب أردف "**كلارك**" :

– إنك لا تريد الإفضاء إليّ بشيء ..

وغادر المكتب وهو ينحي المقاعد من طريقه في ضجة تصم الآذان .

وما كاد ينصرف حتى أقبل زائر آخر هو "**رنزو هيمرز**" . وراح "**دونوفان**" يتأمله في دهشة وعجب . فقد قتلت زوجته واختفت ابنته وسرق منه سواران يعدلان ثروة طائلة ، ومع ذلك فليس في وجهه مايدل على أن أمرا غير عادي قد نزل به ..

وقال "**هيمرز**" في حدة :

– لقد جئت لأستوثق من أنك لن تتخلى عن القضية ..

فدهش "**دونوفان**" وقال :

– أتخلى عنها ؟ ولماذا أفعل ذلك ؟

– لأن رجال البوليس يضطلعون بها .

– ما خطر التخلي عنها على بالي قط .

– يسرني هذا ، فإني أريد أن تعثر على قاتل زوجتي قبل أن يزعم أحد أنني قاتلها .

– أكنت تعرف صلة زوجتك بـ"**مارتيلي**" ؟

أجاب "**هيمرز**" دون تردد :

– أجل كنت أعرف ذلك .

وأخبره "**دونوفان**" بما سمعه من "**توم كلارك**" عن الخطة التي كانت مبيتة لإعطاء السوارين إلى "**مارتيلي**" ، ولكن "**هيمرز**" نفى علمه بها وقال :

– لاريب أن قاتلها هو ذلك الرجل المجنون فمهمتك هي الاهتداء إليه . .

فقال البوليس السري في جفاء :

– أجل ، ولكن – استيفاء للبحث – يجب استجلاء نقطة أخرى . أين كنت في الوقت الذي قتلت فيه السيدة "**هيمرز**" ؟

ولمح "**دونوفان**" ابتسامة عابرة تلوح على وجهه الجامد كومضة البرق قبل أن يجيب :

– لقد كنت طوال الوقت بالنادي الذي أختلف إليه . إذ ذهبت حوالي الساعة الثالثة ، وربما يذكر البواب ساعة وصولي بالضبط ، وغادرته حوالي الساعة الخامسة حيث عاد بي سائقي "**توم**" إلى البيت رأسا . وقد رآني هناك عدد من الأصدقاء بينهم "هوم" و"**ماك**" وغيرهما .

– يحسن بك أن تتحقق من صحة مواعيد وصولك وانصرافك من بواب النادي حتى تكون مستعدا إذا سئلت عنها . وما أزعم أنك في حاجة إلى ذلك، ولكن من الحكمة أن تكون الأدلة على بعدك عن موطن الجريمة متوفرة.

فقال "**هيمرز**" فجأة :

– لننتقل الآن إلى مسألة "**بوبي**" ، فإني أرجو ألا تنسيك هذه المسألة الجديدة أنها لاتزال مختفية ، وقد يفضي العثور عليها إلى الرجل الذي كتب تلك الإنذارات .

وفتح الباب على غير انتظار ففغر "**دونوفان**" فاه دهشة وذهولا .

وسألت "**بوبي هيمرز**" في مرح وهي تتقدم في الغرفة :

– هل سمعتكما حقا تذكران اسمي ؟

ووقفت لحظة تبتسم للرجلين اللذين ظلا يحملقان إليها دون أن يستطيعا

نطقا.

ثم قالت :

– حسنا .. أليس فيكما من تسره رؤياي ؟

- 4 -

ظل الرجلان في دهشة وذهول كأنهما يشهدان طيفا من عالم الأرواح ، وكان "**دونوفان**" أول من استطاع الكلام فقال في صوت مضطرب :

– الآنسة "**هيمرز**" .. أسالمة أنت من كل سوء ؟

فضحكت قائلة :

– علام يدل مظهري ؟

ثم سارت إلى المكتب وجثمت على حافته وراحت تهز ساقيها عابثة .

– وكيف وصلت إلى هنا ؟

– جئت في سيارة أجرة وصعدت بالمصعد . فقد علمت عند وصولي إلى البيت أنني خطفت وأنكما في شغل شاغل بسبب اختطافي ..

فابتسم "**دونوفان**" وقد سري عنه وقال :

– لا يمكنك أن تنحي علينا باللائمة لاعتقادنا أنك قد خطفت .. فإن المرء إذا اختفى عن وجه الأرض على هذا النحو ...

وهنا تمكن "**رنزو هيمرز**" من الكلام لأول مرة منذ دخلت الغرفة فقال :

– وعقدك .. الزمرد .. ماذا حدث له ؟

– لم يحدث له شيء ، وهو في صندوق جواهري في البيت حيث يجب أن يكون.

راح الأب والابنة يتبادلان النظرات فلاح لـ"**دونوفان**" أن البغضاء بينهما كالتيار الكهربائي . وأراد أن يخفف مما يسود الموقف من التوتر فقال :

– كان ينبغي أن ترسلي نبأ عن مكانك فقد أزعجنا غيابك . .

فقالت "**بوبي**" في صوت لا ينم عن شيء من الأسف :

– إني آسفة حقا . . ولكني كنت أعتقد أن غيابي لايهم أحدا ، ولم أقرأ شيئا في الصحف .

قال "**دونوفان**" :

– لقد طوينا الخبر عن الصحف .

وسنح له خاطر فجائي فأردف قائلا :

– وطالما قرأت الصحف فلابد أن تكوني على علم بحادث السيدة "**هيمرز**" ؟

– أجل علمت به .

وانثنت إلى أبيها قائلة :

– لقد جئت إلى هنا في الحقيقة متوقعة أن أتهم بقتلها إذ لم يكن بيني وبينها حب ، وهأنا ذا هنا بعد غيبة مريبة .

– إن هذا لم يخطر ببالي قط . أكنت تسوقين سيارتك عندما تحطمت ؟

– كلا ، بل تركتها واقفة في زقاق وكان هذا آخر عهدي بها .

وقال "**هيمرز**" :

– أين كنت يا "**بوبي**" ؟

– فحدجته الفتاة بنظرة فاترة وأجابت :

– هذا شأني الخاص ليس لأحد أن يتدخل فيه أو يحاسبني عليه .

وتمنى "**دونوفان**" خلال الدقائق الخمس التي تلت ذلك لو أنه في أي مكان

في العالم غير تلك الغرفة ، فقد تلظى "**هيمرز**" غضبا إلى درجة راعت "**دونوفان**" على ما يعرفه من شراسة خلقه وسوء طباعه ، واحتدم غضب الفتاة كذلك فانطلقت خارجة وصفقت الباب خلفها في عنف اهتزت منه جدران الغرفة .

وبعد انصراف "**هيمرز**" ببضع دقائق فتح باب الغرفة ثانية في خفة وتمهل، وأطلت منه "**بوبي**" وراحت تدير عينيها في الغرفة محاذرة ثم قالت :

– ألا تريد أن تعرف أين كنت طوال هذه المدة ؟

فأجابها "**دونوفان**" :

– بالتأكيد ، أريد ذلك وإنما كنت متوقعا أن تخبريني به .

– لقد كنت في زيارة الرجل الذي يدعو نفسه "ن"

فشخص إليها "**دونوفان**" في دهشة بالغة عقلت لسانه هنيهة ثم قال في هدوء:

– أرجو أن تخبريني بقصة هذه الزيارة يا"**بوبي**" .

وروت له الفتاة بعض ما وقع لها ، فأخبرته كيف تعرفت بذلك الشاب في حفلة كوكتيل ، وكيف طافت معه في النوادي الليلية ، وكيف وقع حادث الاصطدام وحمل الرجل الذي عرفته باسم "**جون مون**" إياها إلى بيته ثم قالت:

– لقد أخبرتك بالكثير فمن الإنصاف أن تفضي إليّ بما تعرفه عنه ؟

فراح "**دونوفان**" يقص عليها ما يعرفه ، وأشرق وجه الفتاة بالابتسام عندما أخبرها بالهدية العجيبة التي تلقتها "**مولي كازاليس**" ، وقالت :

– مسكينة "**مولي**" ، لقد مر بها وقت عصيب حقا ..

ثم التمعت عيناها بنظرة عجيبة وقالت :

– أيمكن أن يكون هو مصدر النقود التي تلقتها ؟

– بلا ريب .

– وهل تعتقد أن هذا ما يفعله بكل ما يحصل عليه من المال ؟ أيرده إلى الذين سلبهم إياه أبي وشركاؤه الأوغاد ؟

قال "**دونوفان**" :

– من السهل أن تدركي ذلك بنفسك .

– لم يدر هذا في خلدي فما أخبرني به قط .

وأطلعها "**دونوفان**" على ما يعرفه عن مقتل "**دوروثي هيمرز**" كما أخبرها أن الشبهات تتجه كلها إلى الرجل الذي عرفته باسم "**جون مون**" ، فقالت "**بوبي**" :

– إنه لم يقتل "**دوروثي هيمرز**" .

– هذا مجرد ظن ؟

– بل هي الحقيقة بعينها ..

– أخشى ألا يكون هذا دليلا مقنعا ..

– إني أعرف ذلك كما يعرفه هو ، وقد جئت إلى هنا موفدة من قبله ، ستتلقى غدا رسالة منه متضمنة ما يقنعك ببراءته ، وسيبحث كذلك عمن قتل "**دوروثي**" .

وهنا دق جرس التليفون فتناول "**دونوفان**" السماعة وراح يصغي إلى قصة طويلة .

وقال وهو يعيد السماعة إلى مكانها :

– إن محدثي هو المفتش "**جاريتي**" من رجال إدارة المباحث الجنائية ، وقد روى لي قصة تثير العجب والضحك معا ، فقد ذهب إلى الشرطي المعين لحراسة المنزل الذي قتلت فيه السيدة "**هيمرز**" رجل ضئيل الجسم في خفة

الأرنب ينتحل اسم "**ألبرت بونس**" وزعم أنه بوليس سري هاوٍ ، فسخر منه الشرطي ولم يحفل به وحاول أن يغري الشرطي بالسماح له بمعاينة الغرفة فطرده ، بيد أن الشرطي لم يلبث أن غلبه النعاس بعد ذهاب الرجل ، واكتشف المفتش "**جاريتي**" بعد ذلك ضياع رسالة من الغرفة المجاورة لغرفة الجريمة ، واقتطاع بضعة سنتيمترات من الحبل الذي خنقت به السيدة "**هيمرز**" .

◆◆◆◆◆

لم يكن "**ولفريد هيوم**" شابا عاديا ، إذ كان يجري في عروقه مزيج عجيب من الدماء الإنجليزية والأمريكية ، فورث أبرز ما في الشعبين من الصفات والطباع، وكانت أمه السيدة "**ماري فوردويس**" نادرة الجمال ، رشيقة الأعضاء، شقراء البشرة ، أما أبوه "**توماس هيوم**" فقد كان عصاميا من أصحاب الملايين ، بلغ ذروة النجاح بكده وجده دون غيرهما من الأسباب وقد توفي كلاهما منذ عدة سنين .

ورث الشاب عن أمه ما اشتهرت به أسرة "**فوردويس**" على تعاقب الأجيال من سمو النفس ، ورقة العاطفة والجود والسخاء كما ورث عن أبيه القوة والشجاعة والتمسك بمقتضيات الشرف والأمانة .

ولقد بغضت إليه الضربة المالية التي دبرها "**هيمرز**" عالم الأعمال وأساليبه، إذ اندفع إليها مغمض العينين ، وترك قيادة الأمر بين يدي "**هيمرز**" يوجهه كيف يشاء ، ثم تكشفت له الطريقة التي تمت بها اللعبة ، ورأى ما جرته على كثير من الناس من الخراب والدمار ماثلا فيما أصاب مربيته ، وتلقى على أثر هذا الاكتشاف الرسالة المذيلة بالحرف "ن" .

وفي الليلة التالية لزيارته لـ"**دونوفان**" أخرج من خزانة ثابتة في الجدار "**تاج فوردويس**" حيث كان يحفظه دائما وحمله إلى غرفته ووضعه في درج مكتب بجانب سريره وأغلقه ، ثم أخذ ربطة من ذلك المكتب ونزل بها حيث وضعها في الخزانة مكان التاج ، ومعها رسالة استغرق إنشاؤها وتحبيرها وقتا طويلا .

وبعد أن فرغ "**ولفريد هيوم**" من هذه المهمة ، أوى إلى فراشه حيث استغرق في نوم هادئ هنيء كنوم البررة الأطهار .

وفي بكرة الصباح التالي أيقظه من نومه خادم ارتسمت في وجهه آيات الجزع والهلع وأنبأه أن أمرا هائلا قد حدث في الليلة الماضية .. إذ وجد الحارس غائبا عن الوعي في البهو بفعل مخدر دون ريب ، ولابد أن يكون التاج قد سرق ، فهل يتفضل السيد "**هيوم**" بالنزول لينظر في الأمر إذ إنه وحده الذي يستطيع فتح الخزانة ؟

وكان السيد "**هيوم**" راغبا في ذلك بالتأكيد ، وما كاد يفتح باب الخزانة حتى شهق الخادم مرتاعا ، فقد كانت خاوية .

وهتف الخادم :

– لقد ذهب يا سيدي ، سرق التاج !

فانثنى إليه "**هيوم**" وقال يطمئنه :

– كلا . . . إنه في درج المكتب بجانب سريري .

وأخذ يصعد السلم وثبا وهو يصفر بفيه ، وهي حالة عجيبة في رجل قد سلب مبلغا لا يستهان به من المال !

وفي اليوم نفسه أبلغ "**دونوفان**" بما حدث .. فقال البوليس السري إنه كان يتوقع هذا ، وأعيد "**تاج فوردويس**" إلى مكانه في الخزانة ..

بيد أنه كان ثمة أمر واحد أغفل "**هيوم**" إطلاع "**دونوفان**" عليه عمدا ، ذلك أنه أشار في الرسالة التي تركها مع النقود إلى أنه ينتظر جوابا .

وألغى ما كان مرتبطا به من المواعيد ولزم بيته ذلك المساء محاولا أن يتلهى بالقراءة في المكتبة ، وأوى أخيرا إلى فراشه فلم يغمض له جفن بينما ران الكرى على أهل البيت جميعا ، وانعقد السكون من حوله فكان أضعف الأصوات يبدو ضخما مدويا ..

وفيما هو يهم بإضاءة المصباح من جديد لقتل الوقت بالقراءة حتى يوافيه النوم ، سمع صوتا لم يخف عليه معناه ، فقد فتح أحد الأبواب المفضية إلى شرفة الطابق الأرضي ..

وسرعان ما فارق "**ولفريد هيوم**" سريره وتدثر بثوب منزلي ، ثم أخذ مسدسا صغيرا شديد الفتك من درج مكتبه ووضعه بجيبه ، وانطلق يهبط السلم في خفة القط ..

ووقف بباب المكتبة وقد لمح على مكتبه ظرفا كبيرا أبيض فتناوله ورأى في ذلك الضوء الخافت اسمه مكتوبا عليه بخط واضح الدلالة على كاتبه ، وأضاء مصباح المكتب الصغير وفض الظرف فلم يجد به سوى رقعة صغيرة من الورق بها بضع كلمات :

"القيمة سددت بأكملها – "ن" –

خرج "**ولفريد هيوم**" من الباب الجانبي وأخذ يدير عينيه مسرعا في الحديقة ، ثم تسلل بخفة حذاء البيت مستترا بظلال الأشجار ، وخيل إليه أنه يلمح شبحا في ظل البوابة فأخذ يسير مع السور الحديدي متجنبا الضوء ، وقد صح ظنه إذ كان هناك رجل في زاوية مؤلفة من السياج الحديدي وقائمة البوابة .. وأسرعت دقات قلب "**هيوم**" وهو يهتف في صوت منخفض :

– تعال من هناك !

فبرز الشبح من ركن الظلال ورآه "**هيوم**" رشيقا غير طويل القامة ولكن وجهه كان يخفيه طرف قبعته ، وقال الرجل الغريب :

– لقد كنت أرجو أن تستيقظ وتهبط إلى الطابق الأرضي ..

فأجابه "**هيوم**" :

– أرجو أن تبرز إلى النور لكي أرى وجهك .. وخطا الرجل إلى دائرة من الضوء تنعكس من مصباح الشارع ورفع قبعته ..

وراح "**هيوم**" يصعد فيه بصره طويلا ثم قال في صوت هادئ :

– لقد ظننت أنه ربما كنت أنت ذلك الرجل .. هيا بنا إلى البيت .

◆◆◆◆◆

لم يكن من السهل تهدئة ثائرة "**دونوفان**" إذ اعترته نوبة من الضيق والضجر، وقد كانت زيارة "**بوبي هيمرز**" له فاتحة لإحدى تلك النوبات ، ولزمه الضجر حتى اليوم التالي وهو في انتظار تلك الرسالة الموعودة من "ن" وألفى الرسالة في انتظاره عند وصوله إلى مكتبه ، فراح يقلب الظرف بين يديه قبل أن يفضه ، ثم فتحه وأخرج منه عدة أفرخ من الورق الرقيق مكتوبة بذلك الخط الواضح المائل ، وأشعل غليونه واستقر في مقعده وأخذ يقرؤها :

"عزيزي "**دونوفان**" :

لم أقتل "**دوروثي هيمرز**" .. وإني لأعلم أن كل ما بين يديك من القرائن يشير إلى اتهامي ، ولكن هاك روايتي لما حدث .

ذهبت إلى البيت الذي كان ملتقى السيدة "**هيمرز**" بعشيقها لأسرق سواريها ، وكنت على علم بمادبرته لتقديمهما إلى خليلها وإلقاء اللوم عليّ ، فوضعت من الوسائل بعد ظهر ذلك اليوم ما يعوق "**مارتيلي**" عن موافاة عشيقته قبل انقضاء زمن طويل على الموعد المتفق عليه بينهما .

ولما دخلت السيدة "**هيمرز**" الغرفة التي وجدت مقتولة بها فيما بعد ، كنت مختبئا خلف الستائر المنسدلة في نهاية الغرفة فأطلقت جهازا دقيقا يحوي غازا مخدرا شديد المفعول عديم الخطر لعلك لاحظت أنني أستعمله في بعض الأحوال ، بعد أن اتخذت من الحيطة ما يذود عني تأثيره .

وقد فعل هذا الغاز الذي لا يعرف سره سواي فعله بها فغابت عن الصواب، وأخذت السوارين وذهبت إلى غرفتي التي كانت ملاصقة لغرفتها كما تعلم .

والآن دعني أسق إليك الملاحظات التالية عن دوري في هذا الحادث :

أولا .. لم يكن ثمة ما يحملني على قتل السيدة "**هيمرز**". ولو كان لي ثأر شخصي أطالب به لا نتقمت من "**هيمرز**" نفسه وليس من زوجته.

ثانيا .. إذا خالجك الريب في أنها كانت غائبة عن الوعي عند السرقة وعند قتلها أيضا ، فمن السهل أن أقدم الدليل الحاسم على ذلك ، فإني أعتقد أن عينيها كانتا مغمضتين عندما عثرتم عليها ميتة . كما أن تشريح الجثة لابد أن يكون قد كشف الآن عن وجود الغاز في رئتيها .

وثالثا .. مسلك الراقصة "**فلورنس ستار**" فقد علمت أنها هتفت عند العثور على الجثة "لقد قتلها !" فمن الذي كانت تشير إليه ؟ لا ريب أنها لم تكن تقصدني إذ إنها لا تعرف عني شيئا ، ومحال أن تقصد "**مارتيلي**" كذلك .

وإني لأعلم أن كل هذا لا يغني عني شيئا في نظر القضاء ، ولكني أرجو أن يكون فيه ما يكفي لإقناعك .

وسيكون أول أهدافي العثور على "**فلورنس ستار**" وسأرسلها إليك بعد الوقوف على ما عندها من المعلومات .

وأشعر أنني مدين بالاعتذار إلى رجال البوليس عما فعل : "**ألبرت بونس**" بالأمس ، فقد كانت زيارته ضرورية لجلاء أسرار هذه الجريمة ، إذ عثر على عدة شواهد لها أعظم الأهمية ولم يفطن إليها رجال البوليس ، وسأبعث بها إليك متى انقضت حاجتي إليها .

وإني لأعلم يا "**دونوفان**" أنك رجل راجح العقل بعيد النظر صادق الفراسة، وقد عهد إليك بالعثور على الرجل الذي يسرق "**هيمرز**" وشركاه ، فهل ترجئ هذه المهمة إلى ما بعد العثور على قاتل "**دوروثي هيمرز**"؟ فإذا ما انتهت هذه القضية كان لك أن تنصرف إلى العمل على اعتقالي .. إذا استطعت .

ويمكنك أن تراسلني عن طريق "باب الاجتماعيات" في صحيفة التيمس " .

المخلص "ن"

حاشية (ملحوظة) : في وسعك أن تنبئ السيد "**أبرناذي**" بأن هذا لا شأن له على الإطلاق بخطتي فيما يختص بسرقة عقد "**ستار فلاور**" .

وضع "**دونوفان**" الرسالة جانبا وأشعل غليونه من جديد واضطجع في مقعده مفكرا ، لقد لقي في حياته كثيرا من المجرمين على اختلاف أنواعهم فكانوا دائما موضع مقته وازدرائه ، وإن ظفر بعضهم منه بشيء من العطف والرثاء ، ولكن هذا الرجل الذي يرمز إلى نفسه بالحرف "ن" والذي عرفته "**بوبي هيمرز**" باسم "**جون مون**" يختلف كل الاختلاف عن كل من عرف من المجرمين ، فما يسلك مسالك الإجرام إلا لرد المظالم وإعادة الحقوق المغتصبة إلى ذويها ، بيد أنه في نظر القانون معتد أثيم ، والواجب يحتم على "**دونوفان**" مطاردته ووضعه في قبضة العدالة .

واتصل بالمفتش "**جاريتي**" يسأله عن نتيجة تشريح الجثة ، فأخبره أنه أثبت وجود غاز في الرئتين ، وأن المرأة كانت على الأرجح غائبة عن الصواب عند ما قتلت .

ووضع "**دونوفان**" السماعة في مكانها وأرسل الإعلان التالي لنشره في باب الاجتماعيات في صحيفة "التيمس" :

"قبلت اقتراحك . أرجو لك التوفيق " .

◆◆◆◆◆

يقوم منزل "**رنزو هيمرز**" بـ"**نيويورك**" وسط حديقة صغيرة يحيط بها سور حديدي مرتفع تنسدل على أعاليه الأغصان المورقة المتهدلة ويكسو قضبانه النبت الأثيث الملتف ، وقد بلل ماء المطر تلك الأغصان ، وعلقت بأوراقها قطرات من الماء تتلألأ في الضوء المنعكس عليها من مصابيح الشارع ، بينما جثم في ظلالها رجل يرقب ذلك البيت العظيم .

وكان "**رنزو**" قد اعتزم فجأة الرحيل مع ابنته إلى قصره الريفي في "لونج أيلاند" فأضيئت المصابيح في جميع نواحي البيت لأول مرة منذ قتلت السيدة "**هيمرز**" ، وأخذ الخدم يروحون ويجيئون في التأهب والاستعداد .

بيد أن ذلك الرجل الجاثم لم يكن مأخوذا بسنا تلك الأنوار الساطعة ، وإنما كان متربصا حتى تنطفئ عن آخرها ويلف البيت الظلام .

وكان زري الهيئة يقطر الماء من أطراف قبعته وياقة معطفه ، وتلوث حذاءه الأوحال .. ولكن لم يكن له بد من الانتظار في ذلك الجو المطير إلى أن تطفأ الأنوار ، وإلا رحل "**رنزو**" في الغد عن " **نيويورك**" وأصبح بعيدا عن متناول يده. على أنه لم يكن وحده يرقب ذلك البيت ، فقد وقف في ظل إحدى الأشجار المنحنية على السور في الطرف الآخر من الحديقة رجل آخر يبلله

المطر وتلوثه الأوحال بالمثل .

كان كل منهماً يجهل وجود صاحبه كل الجهل ، ولكنهما يعرفان كل منهما الآخر ، وإن كان آخر عهدهما باللقاء منذ زمن بعيد في بلد نازح ، وفي ظروف تختلف أتم الاختلاف ، ولكنهما كانا مهتمين على السواء بمراقبة بيت "**رنزو هيمرز**" أشد الاهتمام ، على تباين البواعث والأسباب .

وأطفئت الأنوار بعد انتصاف الليل بوقت طويل فغادر ثاني الرقيبين مكمنه، وما كاد يدور حول زاوية السور حتى وقع بصره الحاد على الرقيب الأول وهو قابع في ظلال الأشجار .

وبعد أن تردد لحظة أخذ يتقدم على الرصيف بخطى مسرعة كأنه عابر سبيل حتى إذا ما حاذى الرجل الآخر ألقى عليه نظرة سريعة فاحصة ، فلم يلبث أن وقف فجأة وراح يحدق إلى وجهه .

وقف الرجلان يتبادلان النظرات صامتين ، وقد راع أحدهما وجود صاحبه في ذلك المكان وأدهشه ، بينما راح الرجل الآخر يكد ذاكرته الغائمة المظلمة ليذكر صاحب هذا الوجه الذي يشعر أنه يعرفه ، بيد أنه لم يستطع أن يتذكر إلا شيئا واحدا هو أن هذا الرجل قد أقبل ليحول بينه وبين ما اعتزم الإقدام عليه فوثب إلى الأمام مزمجرا كالوحش الضاري ، ويده في جيبه الخلفي ، ولكن "**جون مون**" كان أسرع منه حركة ، وسرعان ما طار المسدس من يده ونفذ بين قضبان السور حيث استقر بين طائفة من الأعشاب الكثيفة .

وهتف "**جون مون**" :

قف أيها الأحمق ! ألا تعرفني ؟

ولكن هذه الكلمات لم تحدث أثرا ، وقبل أن يتمكن المجنون من الوثوب

ثانية سدد إليه "**جون مون**" لكمة قوية ألقته على الرصيف غائبا عن الصواب.

وأسرع "**جون مون**" في الشارع إلى حيث كان "**جو**" في انتظاره في السيارة، فجاء به وتعاونا على حمل المجنون إليها ، ثم انطلقا به إلى البيت ..

ولما أضجعاه على السرير في غرفة "**جون مون**" أخذ "**جون**" يتأمل وجهه ثم قال :

– إنه لم يمت ؟

أجاب "**جو**" :

– كلا ... إنه غائب عن الصواب فقط وسيعود إلى الوعي . ويجب أن نستبقيه هنا ، وإن كان هذا سيجشمنا كثيرا من التعب والعناء ، وينبغي ألا نغفل عن مراقبته لحظة واحدة ..

– ليس هذا بالأمر العسير ..

وبعد أن صمت قليلا أردف قائلا :

– ولكننا لا نستطيع المضي في ذلك إلى ما شاء الله .

– أعرف ذلك ، ولكن ليس ثمة من سبيل إلى إعادته إلى الخارج ، وليس في الإمكان إدخاله إلى مصحة في هذه البلاد لأن هذا يسترعي كثيرا من الانتباه، ولا نستطيع كذلك أن نتركه مطلق السراح ..

ونقل المجنون إلى تلك الغرفة بالقبو بعد أن هيىء بها أقصى ما يمكن من أسباب الراحة بيد أنه كان مطيعا سلس القياد إلى درجة تبعث على الدهشة، وسرعان ما أخذ يروض نفسه على ظروفه الجديدة ..

ولكنه بدأ منذ اللحظة الأولى يدبر الخطط ويتفحص آسريه لكي يعرف أسهل الوسائل للتغلب عليهما ، وراح يمتحن الأبواب والنوافذ ويتعرف على أحوال أهل ذلك البيت .

لم يكن في ذهنه شيء واضح سوى فكرة واحدة تتقد كالشعلة الملتهبة .. يجب أن يفر ويصل إلى "**رنزو هيمرز**" .

◆◆◆◆◆

انعقد مؤتمر من "**جون**" و"**جو**" و"**ماركوس**" ، وكانت "**فلورنس ستار**" مدار البحث ، وقال "**جون مون**" مقطب الجبين :

– يجب العثور عليها فورا وإلا اضطررنا إلى وقف أعمالنا ..

ونظر إلى "**جو**" ثم إلى "**ماركوس**" ، وكان يعلم أن هذا الأعرج إذا تتبع أثرا فلن ينصرف عنه حتى يظفر بضالته مهما يطل به الزمن ، أما "**جو**" فيمتاز بصلاته الوثيقة بكثير من أهل الشر والفساد وأفراد الطبقة الدنيا ، وقد حان وقت الانتفاع بهذه الصلات ، بل لقد بدأ "**جو**" استغلالها بالفعل فاهتدى إلى سائق السيارة التي استقلتها "**فلورنس ستار**" عند فرارها ، وعلم منه أنه حملها إلى مسكن "**لورا كين**" الراقصة معها في حانة (البجعة الحمراء) .

وقال "**جون**" وهو ينظر في ورقة بيده :

– لقد كانت "**لورا كين**" متغيبة عن المسكن في عملها عندما ذهبت إليه "**فلورنس ستار**" ، وقال عامل المصعد إن "**فلورنس**" نزلت بعد نحو ربع ساعة وهي تلبس ثوبا رماديا وكوفية برتقالية وقبعة سمراء عريضة الحواف من القش..

ثم وضع الورقة على المنضدة قائلا :

– وهنا ينتهي الأثر ..

قال "**ماركوس**" :

– أو يبتدئ .. ستجد "**فلورنس**" نفسها في حاجة إلى النقود فإن أمثالها قلما يدخرون شيئا ..

فقال "**جون مون**" :

– لقد خطر لي هذا ، ولا ريب أن "**لورا كين**" صديقتها الحميمة وستلجأ إليها في طلب المعونة ، ولابد أن تقترض "**لورا**" ما تحتاج إليه صديقتها بوجه من الوجوه . .

وهناك قال "**جو**" :

– ستقترضه من الحانة بلا ريب . . .

وسأقف على ذلك من خادم أعرفه فيها .

ولما ذهب الرجلان ، عكف "**جون مون**" على رقعة الورق وقطعة الحبل اللتين أخذهما "**ألبرت بونس**" من البيت الذي قتلت فيه "**دوروثي هيمرز**" ، وظل مشتغلا بهما بقية بعد الظهر .

ثم عاد "**جو**" وقد نجح في مهمته وتبين أن "**لورا كين**" اقترضت هذا الصباح من الحانة مائة دولار تسدد من راتبها . وعاد بعد ذلك "**ماركوس**" وقد نجح في مهمته كذلك إذ علم أن "**لورا كين**" أرسلت هذا المبلغ بعد الظهر بحوالة برقية إلى من تدعي الآنسة "**ف . أدامز**" بفندق رخيص في مدينة (فيلادلفيا) . وذهب "**ماركوس**" إلى (فيلادلفيا) ولا يزال يتتبع آثارها حتى تبين أنها عادت إلى "**نيويورك**" في إحدى السيارات العامة ، ثم اختفت في السكة الحديد التي تسير تحت الأرض .

وعرض "**ماركوس**" أن يمضي في البحث والاستقصاء حتى يهتدي إلى مقرها، ولكن "**جون**" أعرب عن اعتزامه مقابلة "**لورا**" لاعتقاده أن "**فلورنس ستار**" مختبئة في مكان ما في "**نيويورك**" .

ولما طرق باب مسكن "**لورا**" لم تفتح الباب إلا قليلا وقالت له على الفور :

– لا أريد شراء شيء فامض لشأنك .

وهمت بإغلاق الباب فقال :

– انتظري قليلا أريد التحدث إليك في شأن "**فلورنس ستار**" .

أجابت :

– لا أعرف أين هي . لا أعرف عنها شيئا .

وهمت بإغلاق الباب مرة أخرى فاستوقفها قائلا :

– ليس هناك ما تخشينه مني فما أنا من رجال البوليس ولا الصحافة ، وإنما تتعلق بهذا الأمر حياتي نفسها .

وبعد أن استطاع إقناعها سمحت له بالدخول ، وراح يحدثها في صراحة عجيبة ثم قال :

– إني لا أعتقد أن ثمة ما يبعث الآنسة "**ستار**" على الخوف من رجال البوليس، وليس لها من صلة بالجريمة سوى أنها تعرف ، أو تعتقد أنها تعرف الرجل الذي اقترف الجريمة .

وقالت "**لورا كين**" بعد شيء من التردد :

– أجل .. إن الأمر كذلك .

–ولكني لست بالرجل الذي ترهبه وتخشاه إذ إنها لا تعرفني ولم ترني قط . وهكذا ترين أنني في مأزق حرج .

فإني لم أقتل "**دوروثي هيمرز**" ولكن البوليس يتهمني بقتلها ، وقد يستطيع إثبات ذلك إذا لم أظهر القاتل .

ووقف قليلا وقد سره أن يرى في وجه "**لورا**" ما يدل على العطف وأردف قائلا :

– وإنك لترين الآن كيف يهمني أن أجد "**فلورنس ستار**" .

– أجل أدرك ذلك ، ولكن المسكينة قد ترفض الإفضاء بكلمة واحدة حتى إليك أنت فإن الخوف يكاد يقتلها .

– ولكن سلامتها تقتضي أن تصارحني بما تعرف . فإنها إذا كانت على

صواب وكان الرجل الذي تعرفه هو القاتل حقا ، ظلت معرضة لأشد الأخطار ما دام حرا طليقا أما إذا قبض عليه فلن يستطيع أن ينالها بأذى .

– إنها أبت أن تستمع إلى نصيحتي بالذهاب إلى إدارة البوليس وإطلاعهم على ما تعرف لفرط خوفها .

– هذا مؤكد . فقد لا تكفي شهادتها وحدها لاعتقاله فينتقم منها . ولكنها إذا أطلعتني على ما عندها من المعلومات استطعت أن أستجمع من الأدلة ما يكفي للقبض على القاتل .

ومتى عرف المجرم ، كان إثبات التهمة أيسر كثيرا من التخبط في الظلام .

– إن حديثك مقنع ، ولكن ألا تعتقد حقا أن "**فلورنس**" تعرض نفسها للخطر بالاعتراف لك بسرها ؟ إنها يجب أن تثق بك كل الثقة .

أجاب "**جون مون**" :

– اتركي الحكم لها . إنك تعرفين مكانها ؟

– أجل .. أعرفه .

– اذهبي إليها إذن وانقلي لها ما قلته لك ، فإذا رضيت مقابلتي ذهبت لزيارتها معك هذا المساء .

– عد إلى هنا هذا المساء ، فإذا وافقت على مقابلتك أخذتك إليها .

وعاد "**جون مون**" إلى بيته فاستقبلته مشكلة جديدة . لقد تمكن سجين القبو أخيرا من الفرار !

كانت قصة فرار السجين في غاية السهولة .

فقد طلب إلى "**جو**" أن يأتيه بقليل من الماء ، فلما عاد بالماء وفتح باب الغرفة لم ير السجين إذ إنه توارى وراء الباب فيما يظهر وعاجله بضربة صرعته .

وقال "**ماركوس**" وهو ينظر إلى "**جون مون**" في قلق :

– وقد وجدت "**جو**" طريحا على الأرض والباب مفتوحا على مصراعيه ، وباب البيت مفتوحا كذلك .

قال "**جون مون**" متجهما :

– لابد لنا من العثور عليه . إن العثور على "**فلورنس ستار**" ضروري لجلاء جريمة ، ولكن العثور على هذا المجنون ضروري للحيلولة دون وقوع جريمة أخرى .

فأجاب "**جو**" :

– سأتكفل بالعثور عليه ، لا لأني مكنته من الفرار ، بل لأني أعرف أين أجده .

إنه شديد المكر والدهاء وسيتخذ لنفسه مخبأ في أحد الفنادق الرخيصة . وإني أعرف هذه الفنادق جميعها كما أعرف من يديرونها .

وكان رذاذ المطر يتساقط عندما قصد "**جون مون**" بيت "**لورا كين**" ، وقد استحال بشره عبوسا ، ومرحه انقباضا ، وضاق صدره بما تبثه الأقدار في طريقه من العقبات والصعاب . فها هي ذي امرأة قد قتلت ، وأخرى تختفي حذر الموت، ومجنون خطر يهيم على وجهه في المدينة في طلب عدوه اللدود .

ولكنه وجد عند "**لورا كين**" ما أذهب بعض همه وانقباضه إذ أعلنت إليه قبول "**فلورنس ستار**" مقابلته ، وسارا معا في تيه من الشوارع المظلمة حتى بلغا بيتا عتيقا تؤجر غرفه مفروشة فيه ، فارتقيا سلما متهدما إلى الغرفة الخلفية بالطابق الثالث ، وأخذت "**لورا**" تقرع الباب قرعاً خفيفا دون أن تسمع جوابا . وهمس "**جون مون**" في قلق :

– أيمكن أن تكون قد خرجت ؟

فهزت "**لورا كين**" كتفيها قائلة :

– إنها لم تغادر هذه الغرفة منذ حلت بها ، وهي تعلم أننا قادمان .

وعادت تطرق الباب في شيء من الشدة وقد شحب وجهها وبدا عليها الاضطراب ، ولكنها لم تظفر بجواب . ووقفا لحظة في حيرة وذهول ثم قالت "**لورا**" :

– انتظرني هنا لحظة .

وهبطت السلم في خفة إلى الطابق الأول حيث قرعت بابا آخر وبعد هنيهة سمع "**جون مون**" حديثا بينها وبين صاحبة البيت :

– إني صديقة الآنسة "**أدامز**" ولا ريب أنك تذكرينني .. لقد جئتها ببعض الثياب ولكنها ليست في الغرفة ، فأرجو أن تعيريني مفتاحك لكي أضع الثياب على فراشها ثم أعيده إليك .

شكرا ..

وسمعها ترقى السلم فأعجب بذكائها وسرعة خاطرها . وما إن لبثت أن قدمت له المفتاح فأداره في القفل ودفع الباب في رفق وتقدم في الحجرة على أطراف أصابعه ، ولكنه ارتد في الحال ووضع يده على فم "**لورا**" ليمنعها من الصياح..

كانت الغرفة الضيقة في ظلام دامس إلا من ذلك الضوء الخافت الذي ينساب من الباب ، بيد أن ذلك الضوء الخافت كان كافيا لكي يتبينا الشبح المعلق في السقف في وسط الغرفة .

- 5 -

قال "**جون مون**" همسا :

حذار أن تخرجي أي صوت ..

ثم تجسس الحائط باحثا عن الزر الكهربائي ، وبعد أن أغلق الباب عليهما

أضاء النور فأبصرا جثة "**فلورنس ستار**" معلقة في سقف الغرفة بحبل حريري من حبال ثياب الحمام .

وتأوهت "**لورا**" في صوت خفيض :

– يا إلهي لقد دفع الفزع بالمسكينة إلى قتل نفسها . .

قال "**جون مون**" :

– لا أظن ذلك . .

وراح يتفحص الجثة دون أن يمسها ، فرأى الحبل الحريري الزاهي معقودا من الخلف في مهارة ، ودار إلى الناحية الأخرى ثم قال :

– انظري إلى هذا . .

وأشار إلى كدم صغير جدا بأعلى أحد الصدغين ثم قال :

– كلا لم تقتل نفسها . .

فامتقع وجه "**لورا**" وهي تهتف في ذهول :

– مقتولة !

– إن في الأمر جريمة بلا ريب فما كان في وسعها أن تعقد الحبل على هذا النحو من الخلف فضلا عن هذا الكدم ، واعتقادي أن القاتل سدد إليها ضربة أفقدتها الوعي قبل أن يشنقها . .

– سحقا له . . لا ريب أنه اهتدى إليها . .

– أجل . . والآن سأعطيك رقم تليفون رجل يدعى "**دونوفان**" ، وهو بوليس سري خاص ، فأخبريه بموجز ما حدث واطلبي إليه أن يوافيك في مكان قريب من هنا . .

وبعد أن أطفأ النور أغلق باب الغرفة جيدا وقادها إلى الشارع ، فلما ابتعدا عن البيت وقف قائلا :

– ليس في وسعي يا آنسة "**كين**" أن أعرب لك عما يخالجني من التأثر والأسف، فإني لأعلم أنها كانت صديقتك الحميمة . .

– لقد كانت أعز صديقاتي . .

وما كاد يعطيها رقم "**دونوفان**" حتى اختفى في الظلام ، فذهبت الفتاة إلى مخزن أدوية . وكانت رسالتها إلى "**دونوفان**" موجزة : أنا "**لورا كين**" صديقة "**فلورنس ستار**" . لقد قتلت وطلب مني "**جون مون**" أن أستدعيك بدلا من رجال البوليس .

فسألها "**دونوفان**" :

– وأين أنت ؟

وما كادت تنبئه باسم مخزن الأدوية حتى كان في طريقه إليها . وألفاها منطوية على نفسها في أحد أركان المخزن وهي فريسة للحزن والأسى ، فبدأ ببضع عبارات على سبيل التعزية والمواساة . وقصت عليه وهما في طريقهما إلى غرفة القتيلة قصتها مع "**جون مون**" .

ولما بلغ الغرفة ألقى عليها "**دونوفان**" نظرة سريعة ثم سأل "**لورا**" :

– هل يوجد في البيت تليفون ؟

– يوجد تليفون في نهاية الردهة .

– شكرا . سأذهب الآن لإخطار البوليس ، وسيكون أمامي بعد ذلك متسع من الوقت للبحث والاستقصاء .

وعاد إلى الغرفة بعد أن اتصل بالمفتش "**جاريتي**" والصحفي "**توم كلارك**" وقال لها :

– يجب أن توقظي صاحبة البيت وتخبريها بما حدث ، وإذا جاء رجال البوليس فلا تقولي لهم كلمة واحدة عن الرجل الذي كان معك وإلا أحدثت له ولنفسك كثيرا من المتاعب . ولتكن أقوالك قاصرة على أنك جئت لزيارة

صديقتك فوجدتها ميتة ، وأنك بادرت باستدعائي لأنك تعرفينني من قبل .

ثم انصرف إلى فحص الغرفة .. كانت "**فلورنس ستار**" مرتدية بيجامة زاهية اللون وعلى وجهها آثار أصباغ ثقيلة ، كما أنه في الفراش والوسادة من الثنايا ما يدل على أنها كانت راقدة في سريرها . بيد أن موقع الكدم الذي يعلو صدغها يدل على أنها لم تكن راقدة عندما أصيبت بالضربة ، ولعلها كانت قد نهضت تلبية لطرق على بابها وهي تظن الطارق صديقتها "**لورا كين**" إذ إنه لم يكن يعرف مكانها سواها ، فلما فتحت الباب عوجلت بتلك الضربة قبل أن تتمكن من الحركة أو الصياح . على هذا النحو حدثت الجريمة بلا ريب .

وجلس "**دونوفان**" على المقعد في الانتظار ، وأقبلت "**لورا**" بعد لحظة قائلة :

- إن صاحبة البيت غير موجودة ، وربما تكون قد ذهبت إلى إحدى الحانات القريبة .

وظلا ينتظران قدوم رجال البوليس صامتين . فلما أقبلوا كانت "**لورا**" في موقف لا تحسد عليه إذ راحت تعيد قصتها مرارا وتكرارا وتجيب عن سيل منهمر من الأسئلة .

وازداد "**دونوفان**" إعجابا بذكائها وبسالتها ، فقد كانت تعاني حزنا ممضا لفقد أعز صديقاتها ، وترهق بكثير من الأسئلة المحرجة الدقيقة وهي مضطرة إلى إخفاء جزء من الحقيقة لأسباب لا تفهمها ، ومع ذلك فإنها لم تتلعثم مرة واحدة .

وانتهى الأمر أخيرا ، فصحب "**دونوفان**" "**لورا**" إلى بيتها .

ثم انصرف إلى بيته مستغرقا في التفكير ، وقد نال منه التعب كل منال .

وما كاد يفتح باب مسكنه حتى استقبلته الخادمة "**مادلين**" قائلة :

– هنا رجل في انتظارك يا سيدي . ولقد كرهت إدخاله لرثاثة هيئته ، ولكنه قال إنه يريد مقابلتك لأمر مهم وإنك ستسر برؤيته ، هاهوذا في المكتب . .

وأدرك "**دونوفان**" لأول وهلة أن زائره هو "**ليون مارتيلي**" ، وإن كان لم يره قبل ذلك قط . . .

◆◆◆◆◆

كان منظر الراقص الشاب يستدر الشفقة والرثاء ، فقد بدا كأنه حرم من النوم والطعام أسبوعا كاملا . . . وبعد أن جاءه "**دونوفان**" بطعام ، قدم إليه سيجارة قائلا :

– ماذا صنعت بنفسك ؟

أجاب "**مارتيلي**" متكلفا الضحك :

– لقد كنت كمن يتقلب على الجمر، إنني كنت مختفيا منك ومن البوليس ، وليس هذا بالأمر اليسير إذ كنت مفلسا لا أملك ما يسد رمقي ، والناس جميعا يعتقدون أنني قاتل أثيم .

– ولكن لماذا حاولت الاختفاء ؟

– لأني اعتقدت أنني متهم بالقتل ، وهو أول ما خطر لي عندما ولجت تلك الغرفة فألفيت "**دوروثي**" جثة هامدة . .

فقال "**دونوفان**" في صوت رقيق :

– حدثني بقصتك كلها من أولها .

– إنك واقف فيما أرجح على مسألة السوارين ؟

فأومأ "**دونوفان**" بالإيجاب ، واستطرد الشاب قائلا :

– لقد كنت أرى دائما الحذر من خادم "**دوروثي**" اللعينة ، ولو سارت الأمور في السبيل التي قدرناها لكانت خطة بارعة ..

قال "**دونوفان**" في هدوء :

– إني أستنكر العيش على حساب النساء ...

فقال "**مارتيلي**" :

– وإني لأستنكر هذا كذلك ولكن لم يكن لي منه بد ، فلقد كنت حدثا صغير السن عندما فزت في مسابقة رقص في إحدى الصالات الكبرى ، وكنت أعمل إذ ذاك كاتبا في أحد مخازن الأحذية الرخيصة ، ثم لقيت "**فلورنس ستار**" ، وكانت فتاة صغيرة وراقصة بارعة فاتحدنا معا في العمل ، ونجحنا نجاحاً لا بأس به إذ كنا نفوز بكثير من الجوائز المالية في مسابقات الرقص ونقوم بعرض رقصاتنا في بعض المراقص والحانات الصغيرة ولم يكن يعكر صفونا سوى أن كثيرا من السيدات كن يلجأن إلى المدير رغبة في مراقصتي ..

وقال "**دونوفان**" :

– وما كان هذا ليروق "**فلورنس ستار**" بالتأكيد ؟

– أجل .. ولكننا ظللنا على ذلك بضع سنين اختلف علينا أثناءها اليسر والعسر . وحدث في فترة من فترات الضيق والإملاق أن تمكنت من الالتحاق بحانة "البجعة الحمراء" كراقص محترف ، فعملت على حمل المدير على إلحاق "**فلورنس**" بصالة العرض ، وهناك تعرفت بـ"**دوروثي**" ..

فسأله "**دونوفان**" :

– ومتى تعرفت بها ؟

– منذ سنة تقريبا ، ولقد همت بها في أول الأمر كما هامت بي ، ولكن

تلك العاطفة لم تلبث أن خبت ، ثم أخبرتني ذات يوم بالرسالة التي تلقاها زوجها من ذلك المجنون الذي يرمز إلى نفسه بالحرف "ن" فخطر لي أن أستغل تلك الفرصة للفوز بغنيمة ضخمة ، وكان في نيتي أن أحمل "**فلورنس**" على نبذ عملها في الحانة وأقترن بها ، وفي اليوم المعين لحصولي على السوارين تلقيت رسالة من "**دوروثي**" بموافاتها في مكان آخر ، وهي رسالة أعرف الآن أنها كانت مزورة ولما طال بي الانتظار عبثا ساورني الخوف ، فأسرعت إلى ملتقانا القديم ، ولك أن تتصور ما نالني عندما دخلت .. لم أقف حتى لأبحث عن السوارين ، بل غادرت البيت مسرعا إلى مسكني حيث أخذت ما كان من نقود وبادرت إلى الفرار ، إذ علمت من أول وهلة أنني سأتهم بقتلها ..

ووقف قليلا ريثما تمالك أنفاسه ثم استأنف روايته قائلا :

- ولقد استبد بي الخوف ، وضاعف من انزعاجي أن قرأت في الصحف في اليوم التالي أن رجال البوليس يبحثون عني وعن "**فلورنس ستار**" ولم أكن أعلم إذ ذاك صلتها بالحادث .. ولقد كنت أنام في حظيرة فحم كما ينبئك مظهري ، وطفقت أحوم حول محطة الأوتوبيس عسى أن تسنح لي الفرصة لمغادرة "**نيويورك**" دون أن يتنبه إليّ أحد ، وإذا بي أرى "**فلورنس ستار**" .. ولم أجرؤ على استلفاتها ولكني تبعتها إلى بيت قذر صغير ، كذلك لم أجرؤ على الصعود خلفها فأرجأت الذهاب لمقابلتها حتى الليلة .

فسأله "**دونوفان**" فجأة :

- وهل رأيتها الليلة ؟

- أجل رأيتها . وقد أخبرتني أنها تعرف قاتل "**دوروثي**" ولكنها تخشى أن تصرح باسمه . ولم تكن تخشى رجال البوليس بل القاتل نفسه . وأخيرا كتبت كل ما لديها من المعلومات في رسالة أرسلتها إليّ بعنواني القديم لكي

آخذها إلى إدارة البوليس لتبرئة نفسي . مسكينة ! لقد كانت في أشد الخوف والرعب . .

قال "**دونوفان**" :

– وكانت على حق في خوفها فلقد ماتت .

فحملق فيه الشاب مبهوتا وقال :

– أتعني أنها قتلت ؟

وقص عليه "**دونوفان**" حوادث المساء بعد حذف ما يختص بـ"**جون مون**" ثم سأله :

– متى رأيت "**فلورنس ستار**" ؟

ففكر "**مارتيلي**" قليلا ثم أجاب :

– لقد غادرتها حوالي الساعة السادسة والنصف . لماذا ؟

– لأني ظننت أنك ربما كنت آخر من رآها حية ولكنك لم تكن كذلك . فقد كانت "**لورا كين**" عندها حوالي الساعة السابعة وتركتها ، ثم عادت فألفتها ميتة . على أني لا أعرف شخصا آخر يعلم مكانها سواك أنت و "**لورا كين**" .

– لعلك لا تعني أنني قتلتها ؟

– كلا ، لأني أعرف أنك لم تقتل "**دوروثي هيمرز**" ، وإن لم يكن في وسعي أن أخبرك كيف أعرف ذلك .

– ومن الذي قتلها ؟

– لا أعلم ، ولكني أرجو أن أقف على ذلك عندما أحصل على الرسالة التي كتبتها "**فلورنس ستار**" .

فوقف "**مارتيلي**" وهو يترنح من فرط التعب وقال :

– يبدو لي أن خير ما أفعل هو أن أسرع إلى مسكني حيث أغتسل وأغير

ثيابي وأستمتع بالنوم في فراشي ثم أحضر إليك بالرسالة .

ووافق "**دونوفان**" على هذا الرأي إذ كان خائر القوى يشعر بالحاجة إلى النوم.

وقلما كان "**دونوفان**" يتأخر في النوم ، بيد أنه في صباح اليوم التالي ظل نائما إلى ما بعد الساعة التي تعود أن يستيقظ فيها . فلما استيقظ كان أول ما فكر فيه هو "**مارتيلي**" والرسالة الموعودة .

وسرعان ما وثب من فراشه وارتدى ثيابه إذ كان من الحكمة أن يفد الراقص الشاب في أية لحظة ، بل لقد تأخر في الواقع بعض الوقت .

وأرسل في طلب جرائد الصباح وراح يتصفح ما كتبته عن العثور على جثة "**فلورنس ستار**" ، ثم وضعها جانبا ونظر في الساعة فإذا بالصباح قد مضى أكثر من نصفه دون أن يأتي "**مارتيلي**" .

ثم قرع جرس الباب فأسرع إليه بنفسه وهو يكاد يثب وثبا ، غير أنه ألفى أمامه الصحفي "**توم كلارك**" فبدت عليه أمارات الخيبة والفشل . وقال الصحفي الشاب :

– خليق بك أن تدعوني إلى الدخول ؟ أجل إنه يبدو لي أنك تنتظر شخصا أحب إليك مني ، ولكن . . .

فقال "**دونوفان**" :

ادخل يا "**توم**" . هل تناولت طعام الفطور ؟

– منذ وقت طويل جدا ولا مانع من احتساء قدح من القهوة ، وطلب "**دونوفان**" إلى الخادم أن تحضر القهوة ، ثم أشار إلى زائره بالجلوس وأخذ ينظر من النافذة في قلق ، وقال بعد هنيهة :

– أكبر ظني أن الزائر الذي أنتظره سيثير اهتمامك .

– من هو ؟

– "**ليون مارتيلي**" .

وأخذ يروي للصحفي ما قصه عليه "**مارتيلي**" بالأمس وقال :

– لن أنتظر بعد ذلك ، وسأذهب إلى مسكنه فهل تحب أن تأتي معي ؟

وقصدا من فورهما إلى مسكن "**مارتيلي**" حيث أخذا يقرعان جرس الباب عبثا . وأخيرا استدعى "**دونوفان**" صاحبة البيت فقالت إنه ليس في مسكنه.

فانقبضت أسارير "**دونوفان**" وسألها :

– هل تعلمين متى خرج ؟ لقد تخلف عن موعد معي .

– أظنه خرج في الساعة السادسة . لقد جاءته رسالة بالبريد الخاص ثم خرج . وقابلته في الردهة فأخبرني أنه لم يستطع النوم ، ولم أره بعد ذلك .

وراح "**دونوفان**" و "**توم كلارك**" يتبادلان نظرات اليأس والقنوط . لقد اختفى "**ليون مارتيلي**" ثانية .

◆◆◆◆◆

لم يتبادل الصديقان كلمة واحدة في أثناء عودتهما حتى أغلق عليهما باب المكتبة .

ووجد "**دونوفان**" في انتظاره ظرفا كبيرا كتب عليه عنوانه بالحروف الواضحة المائلة .

وقبل أن يفضه تناول من أحد الأدراج رسالة "ن" الأولى وقدمها إلى "**توم كلارك**" قائلا :

– يحسن أن تقف على القصة بأكملها ، فاقرأ هذه لكي أعرف رأيك فيها.

ثم فض الظرف وراح يقرأ الرسالة الجديدة :

"عزيزي "**دونوفان**" .

أخشى أن يكون موت "**فلورنس ستار**" نتيجة إهمالي وسوء تقديري .

فلو استجبت لرغبتي في اقتفاء أثر "**لورا كين**" إلى غرفة "**فلورنس ستار**" وقابلتها دون تمهيد أو تقديم لكانت المسكينة الآن حية ترزق .

أفيمكن بعد ذلك أن يكون ثمة أدنى شك في أن الرجل الذي ضرب "**فلورنس ستار**" ضربة أفقدتها الوعي ثم خنقها بحبل ثوب الحمام الخاص بها هو نفس الرجل الذي اقترف الجريمة الأولى التي تشبهها من كل وجه ؟

لقد حاولت أن أهتدي إلى شخص كان يعرف "**فلورنس ستار**" كما يعرف "**دوروثي هيمرز**" فلم أجد أحدا .. سوى "**مارتيلي**" بالتأكيد .

هل فكرت في الكدم الذي في أعلى صدغ "**فلورنس ستار**" ؟ لقد أحدثه جسم صلب محفور أرجح أنه مقبض عصا منقوش .

فمن من الرجال الذين يحملون عصيا ذات مقابض معدنية كان يعرف "**دوروثي هيمرز**" أو "**فلورنس ستار**" ؟

إن "**لوسيوس أبرناذي**" و "**جنتر**" و "**أرثر فورستر**" و "**رنزو هيمرز**" يحملون جميعا عصيا ذات مقابض معدنية . وجميع هؤلاء الرجال كانوا يعرفون "**فلورنس ستار**" و "**دوروثي هيمرز**" .

ومن عادة أحد المعجبين بـ"**فلورنس ستار**" ويدعى "دوجلاس بريسكوت" أن يحمل عصا ، ولكن ليس ثمة ما يحمل على الاعتقاد بأنه كان يعرف "**دوروثي هيمرز**" .

أما "**ليون مارتيلي**" الذي كان على اتصال بالمرأتين ، فقد كان يحمل في بعض الأحيان عصا خفيفة من عصي الزينة ، لها مقبض من المعدن المنقوش.

المخلص "ن"

وأعطى هذه الرسالة أيضا إلى "**توم كلارك**" وجلس يفكر في محتوياتها .

وقطع "**توم كلارك**" عليه تأملاته إذ وضع الرسالتين جانبا وقال :

– إنني أميل إلى الاعتقاد بصدق هذا الرجل . فما الذي تنتوي عمله ؟ أما رأيي الخاص فهو التعاون معه .

فأجابه "**دونوفان**" :

– هذا هو ما سأفعل تماما .

وصارح الصحفي بما يجول في خلده عن "**مارتيلي**" فقال "**توم كلارك**" :

– هذا ممكن . ولكن . . .

ولم يتم عبارته إذ دق جرس التليفون فتناول السماعة ولم يلبث أن سمع صوت المفتش "**جاريتي**" قائلا :

– لقد ظهر "**ليون مارتيلي**" أخيرا يا "**دونوفان**" .

فكاد فؤاد "**دونوفان**" يطفر من بين جنبيه لهفة وقال :

– أين هو ؟

– إنه في معرض الجثث ، فقد نقلناه إليه الآن . فهلا لحقت بي !

وكان أول ما سأل عنه "**دونوفان**" عند وصوله إلى معرض الجثث :

– ألم تجدوا معه رسالة أو شيئا كهذا ؟

فهز المفتش "**جاريتي**" رأسه قائلا :

– لم نجد معه شيئا فقد كانت جيوبه مقلوبة . ومع أنه لم يفقد شيئاً من نقوده، فقد فتش تفتيشا دقيقا .

– وأين عثرتم عليه ؟

– في زقاق غير بعيد عن مسكنه . . وقد عثر بعض الناس على الجثة هذا الصباح وأبلغوا البوليس فنقلت إلى معرض الجثث حيث تعرفنا عليها .

– وكيف قتل ؟

– ضرب بآلة صلبة أولا ثم خنق .. بربطة رقبته .

وصمت لحظة ثم أردف قائلا :

– ومما يبعث على الضحك حقا أن سيارة داست جثة المنكود فيما يبدو ، فإن قدميه محطمتان وليست بهما عظمة سليمة !

غمغم "**دونوفان**" متأثرا :

– مسكين هذا الراقص الشاب !

ثم كرر من جديد في صوت كالهمس :

– أليست معه أية رسالة ؟

فحملق إليه المفتش "**جاريتي**" قائلا :

– أكنت تتوقع أن نجد رسالة تنبئك كيف قتل ومن قتله ولماذا ؟

أجاب "**دونوفان**" متجهما :

– إني أعرف كيف قتل ولماذا .؟

فقال "**جاريتي**" ساخرا :

– وكذلك أعرف أنا كما يستطيع أن يعرف كل من يعنيه ذلك . إنك لتكتمني كثيرا من الأسرار يا "**دونوفان**" ، فقد كنت في أثر "**فلورنس ستار**" دون أن تخبرني ، وكنت تعرف مكان "**ليون مارتيلي**" ولم تطلعني عليه .

– لم أعرف مكان "**فلورنس ستار**" حتى انبئت بمصرعها .. وإني أعترف بأنه كان ينبغي أن أخبرك فور ظهور "**مارتيلي**" في الليلة الماضية ، ولكني أؤكد لك أنه كان في عزمي أن أذهب به إليك فور حضوره هذا الصباح .

فقال "**جاريتي**" مهتاجا :

– إن هذا الشقي "ن" فيما أرجح يمرح في المدينة بين سمعنا وبصرنا .

لم يحر "**دونوفان**" جوابا . إن أمر "ن" مؤجل إلى ما بعد حل معميات جرائم القتل . فإذا ما أصبح القاتل في قبضة رجال البوليس ، بطل الاتفاق

المعقود بينه وبين "ن" وصار حرا في مطاردته .

ولما خرج "**دونوفان**" و "**توم كلارك**" إلى الشارع ، نظر "**توم**" إلى صاحبه ثم إلى حانة في الجانب الآخر من الشارع وقال :

– ألا ترى أن نحتسي كأسا ونتشاور في أثناءها في الأمر ؟

فسار معه "**دونوفان**" دون اعتراض وهو مستغرق في أفكاره . ولما استقر بهما المقام قال "**توم كلارك**" :

– " إن الطريقة التي اتبعت في خنق "**دوروثي هيمرز**" و "**فلورنس ستار**" و"**ليون مارتيلي**" تدل على أن قاتل الثلاثة واحد ..

فأجاب "**دونوفان**" :

– ولكننا لا نعرف الباعث على قتل "**دوروثي هيمرز**" . إن "**فلورنس ستار**" قتلت لأنها تعرف شخصية القاتل .

أما "**مارتيلي**" ....

وقاطعه "**توم كلارك**" قائلا :

– لابد أن القاتل رآه يزور "**فلورنس ستار**" .

وصمت هنيهة مفكرا ثم استطرد يقول :

– ولقد كان لديه ألف فرصة وفرصة لقتله ما بين مغادرته بيت "**فلورنس ستار**" وهذا الصباح ، فلماذا انتظر هذا الزمن الطويل ؟ لماذا تركه يزورك وقد كان من المحتمل أن يفضي إليك بالسر كله ؟

– ليس لهذا التأخير غير تعليل واحد ، هو أن القتل متوقف على أمر الرسالة . كان يعرف أنها في طريقها إلى "**مارتيلي**" ، فتريث في الفتك به حتى تصل إليه، وقد يكون رأى "**فلورنس ستار**" وهي ترسلها بالبريد ، أو لعله كان مختبئا عند بابها فسمعها وهي تحدث عنها "**مارتيلي**" ... ولا

ريب أنه علم حين ذاك أن الفتاة بعثت بالرسالة قبل زيارة "**مارتيلي**" لها ، ومن الممكن أن يظن أنها أفضيت بسرها في تلك الزيارة . فإذا كان قد رأى "**مارتيلي**" يأتي إلى مسكني وينفق عندي شطرا من الليل ، ، فسيفهم فيما أرجح أن "**مارتيلي**" أخبرني بذلك السر .

وأخذ الصديقان يتبادلان النظرات صامتين ، ثم أردف "**دونوفان**" :

– انشر قصة هذه الرسالة كاملة تحت أضخم العناوين في الصفحة الأولى، ولا تحذف شيئا من التفاصيل بل اذكر كيف أرسلتها "**فلورنس ستار**" إلى "**مارتيلي**" بالبريد ، وكيف قتل وهو في طريقه ليسلمها إليّ . وأهم ما يجب أن تظهره في أشد الوضوح والجلاء هو أن "**مارتيلي**" لم يكن يعرف محتويات الرسالة وأنني لا أزال حتى الآن أجهلها كل الجهل .

فقال "**توم كلارك**" وهو يفرغ كأسه :

– إن هذا ما كنت أفكر في عمله ، فليس مما يعزز هيبة القانون والنظام أن يوجد "**دونوفان**" مخنوقا بحمالة بنطلونه !

وابتسم البوليس السري لأول مرة في ذلك النهار وهو يقول :

– ما أسرعك إلى قراءة ما تكنه الضمائر .

وثب السيد "**لوسيوس أبرناذي**" إلى مكانه من السيارة ووجهه المستدير الأحمر يشرق بالابتسام ، فلقد أزاحت عن صدره عبئا ثقيلا كلمات قلائل مع "**دونوفان**" بالتليفون ، وأيقن الآن أن "ن" لن ينال منه منالا إذا أودع عقد "**ستار فلاور**" في خزانة الودائع في المصرف ، وها هو العقد في جيبه ، وسيذهب إلى المصرف رأسا ، وبعد نصف ساعة يصبح العقد في مأمن من الأحداث . .

ولكن ليس هذا كل ما لديه من أسباب الرضا والاغتباط ، فقد جاءت

"**بوبي هيمرز**" في الظهر لتناول الغداء في بيته ، ويالها من فتاة أنيسة المعشر حلوة الحديث ! لقد أسر إليها أمر العقد فأبدت كثيرا من العطف والمجاملة ..

إنها لطفلة غريرة مستعذبة العبث ، فلقد أقبلت وعلى رأسها (بيريه) بيضاء ، وفي يدها بيريه أخرى خضراء في كيس من الورق وقالت إنها لم تستطع أن تقطع برأي في تفضيل إحداهما فابتاعتهما كلتيهما .. وبعد الغداء لبست (البيريه) الخضراء فجأة ، وانطلقت تهبط سلم المدخل في مرح ودلال .. وكأنه لم يكفه كلمات "**دونوفان**" والغداء مع "**بوبي هيمرز**" ، فأبى سعد طالعه إلا أن يكون على موعد مع سكرتيرة "**ماك جي**" الشقراء الفاتنة في الساعة الخامسة، وطالما هفا إليها وتمنى وصالها ..

وهكذا قر في مقعده وهو يموء مواء القطة حين تحس بالدفء ، وطلب إلى السائق أن يذهب به إلى المصرف ..

إن سائقه "**وليامز**" مخلص أمين ، وإنه ليشعر بالراحة والاطمئنان وهو ينظر إلى ظهر معطفه الرمادي العريض ، فلابد له من النظر في مكافأته ..

وشعر بثقل لطيف في جفنيه .. لقد أسرف في الأكل إذ كان الطعام سائغاً شهيا ، وطرف بعينيه مرة أو مرتين .. أجل .. إن النعاس يداعبه فإذا لم يقاومه استغرق في النوم وهو في السيارة ..

واعجباه ! إن السائق "**وليامز**" فيما يبدو لا يسلك الطريق المعتاد إلى المصرف، وقد طلب منه دون ريب أن يذهب إليه مباشرة ..

إن النعاس يكاد يغلبه على أمره ، وها هو أرخى جفنيه ثانية أو ثانيتين ، ثم فتحهما في جهد ومشقة فوقع بصره على المرآة التي بجانب السائق ولمح فيها وجه الرجل العاكف على عجلة القيادة ، فإذا به غير "**وليامز**" !

وهم "**أبرناذي**" بالصياح فخذلته قواه وتهافت على مقعده غائبا عن الوعي . ونظر السائق خلفه فلاحت على وجهه ابتسامة الاغتباط ، وزاد من

سرعة السيارة قليلا فانطلقت تتلوى في تيه من الأزقة الضيقة حتى بلغت ممرا صغيرا للسيارات بين عمارتين شاهقتين ، فأوقفها السائق في نهايته .

وانتقل إلى جانب "**أبرناذي**" وأخذ يفتش جيوبه حتى عثر على العقد فدسه في جيبه الداخلي . ثم أخذ من تحت مقعد القيادة قبعة ومعطفا استبدل بهما القبعة والمعطف اللذين استعارهما من "**وليامز**" ، ووضع تلك الثياب الرسمية بجانب "**أبرناذي**" وهبط من السيارة بعد أن فتح نوافذها حتى لا يصاب الرجل بصداع لا موجب له .

وسار متمهلا إلى الشارع كأنه لم يأت أمرا إدّا ولقد جرت الأمور على ما قدر ورسم تماما ، وكانت فكرة "**بوبي**" بارعة حقا إذ ظل يراقب البيت عن كثب حتى ظهرت على السلم في "**البيريه**" الخضراء فعلم أن "**أبرناذي**" يعتزم الذهاب بالعقد إلى المصرف اليوم . وكان من السهل أن يذهب بعد ذلك إلى الجراج حيث يكون "**وليامز**" وحده دائما ، ويحبسه في مخزن صغير ويستعير ثيابه ، ثم يخرج بالسيارة ويقف بها في انتظار "**أبرناذي**" .

وهم بالهبوط إلى السكة الحديد التي تسير تحت الأرض ، ولكن نزوة من نزوات الفضول حملته على العودة إلى مقصف صغير يستطيع أن يشرف منه على الممر الواقفة به السيارة ، ويرى "**أبرناذي**" وهو يستيقظ بعد قليل ويكتشف سرقته ثم يصيح مستنجدا بالبوليس .

ولم يبق بعد ذلك ما يستحق المشاهدة ، فدلف "**جون مون**" إلى أقرب باب للسكة الحديد التي تسير تحت الأرض وأسرع عائدا إلى بيته .

ولقيه "**ماركوس**" في مصنعه في القبو . وأخذ "**جون مون**" الصندوق الجلدي من جيبه وألقى به إلى الأعرج في غير اكتراث قائلا :

– هاك . . .

وراح يلاحظ الأعرج في صمت وهو يفتح الصندوق ويخرج بين أصابعه

العقد الذي كان يتوهج كأنه شعلة من نار ونور وسأله "**جون مون**" متبرما :

– ما مقدار ما تستطيع الحصول عليه من بيعه ؟

ولكن "**ماركوس**" لم يسمع سؤاله بل قال في لهجة المستغرق الذاهل :

– ليس في العالم كله سوى ثلاثة عقود من هذا النوع .

– لك أن تتأمله وتتحسسه ما شئت ، ولكن اذكر دائما أنه يجب تجزئته وبيعه بالوزن . حذار أن تشغف به . أليس من نبأ عن الهارب ؟

– لا شيء . إن "**جو**" لا يزال يطوف بالفنادق والبنسيونات الحقيرة دون أن يقف له على أثر .

فقال "**جون مون**" متجهما :

– يجب أن نعثر عليه يا "**ماركوس**" .

يجب أن نعثر عليه قبل أن يصل إلى الرجل الذي يبحث عنه .

◆◆◆◆◆

تنهد "**دونوفان**" في ضيق وضجر إذ أعلن إليه مساعده "**بيلي**" أن السيد "**والاس جنتر**" هو أحد السبعة الذين أفادوا من الكارثة المالية الشهيرة .

كان "**جنتر**" أشد أصحاب الملايين تقتيرا وشحا ، وكان يعيش مع أخت عانس في منزل متواضع صغير قديم يذهب منه إلى مكتبه كل صباح بالسكة الحديد التي تسير تحت الأرض ، وكان شحه مضرب المثل وموضع التفكه والتندر .. وكان "**دونوفان**" يتوقع منذ سنين أن يسمع ذات يوم بأنه وجد مذبوحا في أحد الأزقة وقد سرق منه مبلغ ضخم ، إذ كان من عادته أن يحمل كثيرا من الودائع الثمينة وهو يأبى أن يستأجر حارسا خاصا ليحرسه في غدواته وروحاته .

ودخل "**والاس جنتر**" ، وكان ناحل الجسم بادي العظام ، كأنه لم يذق الطعام منذ دهر طويل .. وابتدر "**دونوفان**" قائلا :

– لن أدفع إليك سنتا واحدا ، فما جئت إلا تلبية لرغبة "**رنزو هيمرز**" لعلك تفيد من قصتي ما تستعين به في المسألة التي عهد إليك بها .

فأجابه "**دونوفان**" في برود :

– ما كنت لأحلم بالحصول منك على سنت واحد . ماذا حدث ؟

وكانت قصته سهلة موجزة . فقد كان يصعد إلى القطار الذي يسير تحت الأرض وقد اشتد من حوله الزحام ، وفي يده حقيبة عادية بها من الودائع الثمينة ما يقدر بمبلغ ضخم .

وإذا برجل يندفع خارجا من المركبة ماراً به ، ثم يختطف الحقيبة من يده ويسرع على الرصيف . وفي تلك اللحظة أغلقت أبواب المركبات وتحرك القطار للمسير ، فلما وقف بالمحطة التالية وأبلغ "**جنتر**" الحادث إلى البوليس ، كان الرجل قد اختفى ولم يترك أثرا .

فهز "**دونوفان**" كتفيه قائلا :

– قصة ممتعة ولكنني لا أرى لي شأنا بها .

ولكن "**جنتر**" قدم إليه ورقة رثة مكتوبة بذلك الخط الواضح المائل وقال إنه تلقاها بالبريد ولكنه لم يعرها اهتماماً لكثرة ما يتلقى من أمثالها .

وظل "**دونوفان**" في مقعده مستغرقا في التفكير بعد انصراف "**جنتر**" بوقت طويل . من هو "**جون مون**" ، ولماذا يذيل رسائله بالحرف "ن" ؟ لقد استعرض أحوال كل من جرت عليهم الكارثة المالية الخراب والدمار فلم يجد فيهم من يمكن أن يكون ذلك الرجل المجهول ، وإن كان المنطق يجزم بأنه لابد أن يكون واحدا منهم .

أما إذا كان هذا الرجل بعيدا عن الكارثة وآثارها ، وإنما رأى ما أحدث

أولئك اللصوص من الشر والأذى ، فآلى على نفسه الانتصاف منهم لضحاياهم التعساء ، فهيهات أن يهتدي إليه "**دونوفان**" ..

وألفى "**دونوفان**" نفسه يعجب من جديد كما عجب مرارا من أمر "**جون كازاليس**" ويتساءل عمّا حدث . إنه ميت على الأرجح ، ولكن من الممكن أن يكون على قيد الحياة ، وأن يكون هو "**جون مون**" ..

أيمكن الاهتداء إلى حقيقة ما حدث له بعد انقضاء هذه الفترة الطويلة ؟ أيمكن أن يكون ثمة من الآثار ما غفل عنه الباحثون عن "**جون كازاليس**" ؟

وقر رأيه فجأة على أمر من الأمور ، فغادر مكتبه ليتفحص من جديد الطريق الذي سلكه "**جون كازاليس**" ليلة اختفائه .

- 6 -

هبط "**دونوفان**" من القطار بمحطة "**لونج أيلاند**" وقد عاوده الشك في فائدة ما اعتزم القيام به من البحث ، فإنه ليقتفي أثرا قديما قد يكون عفا عليه الزمن. واستقل سيارة الأجرة الوحيدة بالقرية إلى ضيعة "**هيمرز**" ، ووقفت به عند البوابة التي وقف عندها "**جون كازاليس**" منذ سبع سنوات .

وما إن سار قليلا في الحدائق الواسعة التي تحيط ببيت "**هيمرز**" حتى برز له البستاني من وراء سياج من الأغصان الملتفة وقال :

– طاب يومك يا سيدي . لقد أزعجتني وما كنت أتوقع أن أراك اليوم في هذه الحديقة .

فابتسم له "**دونوفان**" قائلا :

– إني آسف على إزعاجك ولكني لم أحسب أن يكون وراء هذا السياج

أحد يا "**هيو**" .

– أظنك تبحث عمن قتل السيدة "**هيمرز**" المسكينة ، ولكني لا أعرف ما الذي ترجو أن تجده هنا .

– لست أرجو أن أصيب من التوفيق في معرفة قاتلها أكثر مما أصيب في البحث عن مصير "**جون كازاليس**" .

– من العجيب أنني تذكرت ذلك المنكود وأنا أشذب الأعشاب النامية حول ذلك الحوض يا سيدي ، فلعلك تذكر أننا عثرنا هناك على أثر قدمه .

– ولكننا لم نفد من ذلك الأثر شيئا .

وسار "**دونوفان**" بين المماشي وحياض الزهور . فلاريب أن "**جون كازاليس**" سلك هذا الطريق يريد المنزل ، ولاريب أنه اختفى في نقطة ما بين حوض الزهور الذي وجد عنده آثار قدمه ، وبين المنزل الذي لم يصل إليه قط . .

وبينما هو يجول في تلك المروج والحدائق الفيحاء رأى بيتا صغيرا جميلا له حديقة خاصة ولم يكن هناك من قبل ، فقصد إليه مستطلعا . وكانت في الحديقة طفلة سوداء الشعر في السابعة أو الثامنة من عمرها ، فقالت ردا على سؤال "**دونوفان**" :

– أنا ابنة "**توني**" سائق السيارة .

– وهل هذا بيتكم ؟

– نعم ياسيدي وقد بناه السيد "**هيمرز**" لأبي . وعندما تكون الأسرة في "**نيويورك**" فلي أن أذهب حيث أشاء ، ما عدا الخليج الأسود . .

– الخليج الأسود ؟ وأين يقع هذا الخليج ؟

– ألا تعرفه ؟ إنه هناك عند البحر ، وقد منعني أبي من الاقتراب منه لأن رجلا هوى إليه من فوق الصخور فغرق ، وهو يخشى أن يصيبني مثل ذلك .

وفارق الطفلة بعد أن لاطفها قليلا ، وقد أدهشه أن ينشيء "**هيمرز**" مثل هذا البيت الجميل لسائق سيارته ، وما عرف عنه قط الاهتمام بموظفيه والحدب عليهم . .

وقصد إلى البستاني وسأله هل يعرف الخليج الأسود ، فأجابه بأنه مكان بغيض لايدنو أحد منه ، وقال إن المهربين كانوا يستعملونه في الزمن الغابر لترسو قواربهم فيه وهو عند الطرف الأقصى للضيعة . .

قال "**دونوفان**" :

ـ هل سمعت أن أحدا هوى إليه من فوق الصخور فغرق ؟

ففكر البستاني قليلا ثم قال :

ـ كلا يا سيدي . . لم أسمع بذلك قط . .

تابع البوليس السري سيره نحو الشاطيء حتى بلغ مكانا لم يشك أنه (الخليج الأسود) وما كان بالعسير أن يفهم سبب هذه التسمية ، فقد كان المكان مؤلفا من طائفة من الرؤوس الصخرية السوداء يمتد تحت سفحها شاطيء رملي ، واكتشف "**دونوفان**" طريقا خشنا مهجورا نمت فيه الأعشاب الكثيفة الملتفة والأشواك يهبط إلى ذلك الشاطيء . .

وجلس على الرمل ورفع بصره إلى الصخور متفحصا ، وسرعان ما استلفت نظره بريق شديد ، إذ انعكس ضوء الشمس على شيء معدني في منتصف الطريق في نقطة كان قد انتزع منها نباتا كثيف الفروع في أثناء نزوله . . وعاد يصعد في ذلك الطريق الوعر حتى بلغ تلك النقطة فانتزع بقية ما يكسوها من النباتات المورقة الكثيفة ، وإذا به يجد تحتها بين صخرتين مسدسا صغيرا يدل مظهره على أنه ملقى هناك منذ زمن بعيد . .

والتقط "**دونوفان**" المسدس ، وما كاد يفحصه حتى أومأ برأسه كأنه يحيي صديقا قديما .. لقد عرفه !

◆◆◆◆◆

لم يذهب جهد "**دونوفان**" سدى كما كان يخشى ، وجلس في مقعده الوثير يستعرض عمل اليوم السابق ويتروى فيه ..

لقد ثبت له أن المسدس الذي عثر عليه هو الذي كان يحمله "**جون كازاليس**" ليلة ذهابه للقاء "**هيمرز**" للانتقام منه منذ سبع سنين .. ومن الممكن أن يكون "**كازاليس**" هام على وجهه إلى الخليج الأسود ، وسقط من تلك الآكام الصخرية إلى البحر في الظلام ، ففقد مسدسه في أثناء سقوطه ، وقد يكون التيار حمل جثته بعيدا .

ولكن كيف يمكن أن يبعد "**كازاليس**" إلى هذا المدى مع أنه كان قريبا من البيت في طريقه ؟ أيمكن أن يكون قد قتل وحملت جثته إلى الخليج الأسود حيث قذف بها من حالق ؟

إن هذا المسدس يخص "**جون كازاليس**" بلا ريب ، وقد يكون السائق "**توني**" على علم بفقده فحظر على ابنته الصغيرة الذهاب إلى الخليج الأسود لئلا تعثر عليه .. أجل إن هذه البقعة خطرة على الطفلة ، ولكنها ليست أشد خطرا من غيرها من المرتفعات المتناثرة على الشاطىء والتي لم يمنع الطفلة من التجوال فيها .. ولقد قال لها إن رجلا سقط من الصخور فقتل .. ولكن البستاني "**هيو**" لم يسمع بمثل هذا الحادث قط .. ومما يستحق النظر والتفكير أيضا ذلك البيت الذي بناه "**هيمرز**" لسائقه "**توني**" ، وقد كلفه بلا ريب مالا كثيرا ..

وإذا فرضنا أن "**توني**" قتل "**كازاليس**" ، فلماذا يفعل ذلك ؟ لقد كان

"**هيمرز**" في أشد الخوف منه حقا ، ولكن كان بوسعه أن يتصرف في شأنه بطريقة غير القتل ..

وأحس "**دونوفان**" بالكلال والفتور ، وإذا بمساعده "**بيلي**" يحضر له رسالة وربطة صغيرة لم يكد ينظر فيما كتب عليهما حتى عرف مصدرهما ، وكانت الربطة تحتوي على علبة صغيرة كعلب الحلي وظرف ، وفتح العلبة فوجد فيها القطعة التي قصت من الحبل الذي خنقت به "**دوروثي هيمرز**" وفحصها فحصا دقيقا فوجد بقرب طرفها بقعة لزجة لم يلبث أن تبين أنها من مربى البرتقال وأن عليها بصمة إصبع واضحة ..

ثم فض الظرف فوجد فيه قطعة من الورق الأبيض عليها قطعة أخرى من الورق الشفاف ودقق النظر في الورقة البيضاء فرأى عليها نفس البصمة على طبقة خفيفة جدا من المربى ..

وقرأ الرسالة وكانت كما يلي :

"عزيزي "**دونوفان**" ..

كنت أحب أن أرسل إليك هذه الأشياء قبل اليوم ، ولكن ظروفا تعرفها بلا ريب شغلتني عن ذلك ، ومن الممكن الاعتقاد بأن البصمة التي على حبل ثوب الحمام تركت عند قتل "**دوروثي هيمرز**" ، ولكن المقطوع به هو أن البصمة الأخرى تركت على قطعة من الورق في الغرفة التي كنت أشغلها عند وقوع الجريمة، إذ إنه لم يدخل تلك الغرفة سوى القاتل ..

وغني عن الإيضاح أن القاتل مع حرصه الشديد على إزالة جميع البصمات والآثار لم يفطن إلى أنه يضغط بإصبعه على بقعة مربى على الحبل ولم يحفل بمسحها إذ لم يخطر على باله أن البصمات يمكن أن تظهر على حبل من الحرير . أما ترك بصمة إصبعه الملوث بالمربى على قطعة من الورق الأبيض في غرفتي فقد كان إهمالاً منه بلا ريب .

وقد حصلت على صور فوتوغرافية للبصمتين فلك أن تتصرف فيهما على الوجه الذي تراه وإني لأعرف صاحبهما ، لامن البصمات نفسها ، بل من الشواهد التي عثرت عليها في أماكن ارتكاب الجرائم ، والبحث والاستقراء أجدى في رأيي من غيرهما من الوسائل فقد عرفت القاتل من نقطتين مستقلتين، وأنت تعرفهما كذلك .

ولعلك تعلم أنني أوشك أن أفرغ من مهمتي في "**نيويورك**" ، فإذا ما انتهيت منها بالفعل بعثت إليك باسم الرجل الذي ترك البصمتين وما هداني إلى معرفته.

المخلص "ن"

ودمدم "**دونوفان**" غضبا وهو يقرأ الإشارة إلى البحث والاستقصاء ، فإنه ليستعرض الجرائم الثلاث نقطة نقطة دون أن يتبين فيها ما يدل على شخصية القاتل .

ثم كتب رسالة موجزة إلى المفتش "**جاريتي**" زعم فيها أن البصمتين وردتا إليه من مصدر مجهول ، وأرسلها إلى مساعده "**بيلي**" .

ولم يكد "**بيلي**" يخرج بالرسالة والبصمتين حتى دخل "**ماك جي**" ثائرا مهتاجا، وقص على "**دونوفان**" أنه تلقى إنذاراً بتوقيع "ن" فلم يحفل به . وحدث أن استدعيت وصيفة السيدة "**ماك جي**" بالأمس إلى "دوتريت" لأن شقيقتها مريضة في خطر ، فطلب من وكالة موثوق بها للتخديم أن ترسل خادمة مؤقتة ، وجاءت الخادمة بالفعل ومعها جميع أوراقها الشخصية وشهادات مخدوميها السابقين .

وفي المساء ذهبت أسرة "**ماك جي**" إلى أحد المسارح فلما عادت وجدت أن

الخادمة قد اختفت ومعها معظم جواهر السيدة "**ماك جي**"

وأدهى من ذلك أن الخادمة الحقيقية التي أرسلتها وكالة التخديم حضرت بعد ذلك وأعلنت أنها خطفت وخدرت وتركت في غرفة في أحد الفنادق الرخيصة . ثم عادت وصيفة السيدة "**ماك جي**" أيضا وأعلنت أن أختها متمتعة بكامل صحتها.

وهتف "**ماك جي**" ساخطا :

– وقد وجدنا هذا على منضدة الزينة الخاصة بزوجتي .

وكان "هذا" رسالة موجزة جدا :

"القيمة تسددت بأكملها" "ن"

كانت الخطة متناهية في السهولة ، ولكنها تدل على أن "**جون مون**" له شريكة من النساء . وقد وصفها "**ماك جي**" بأنها متوسطة الطول ، شقراء الشعر ، عادية المنظر ، ليس فيها ما يسترعي النظر .

◆◆◆◆◆

شاءت الصدفة المحضة أن تكون السيدة "**جيفورد**" والسيد "**أبرناذي**" شاهدين في جريمة قتل . وتفصيل ذلك أن "**لورين جيفورد**" ذهبت إلى مكتب السيد "**هيمرز**" لبعض شؤونها المالية ، وعرض "**هيمرز**" أن يوصلها بسيارته إلى بيتها، ولما كان لدى "**هيمرز**" بعض التعليمات يريد أن يدلي بها إلى موظفيه قبل انصرافه، فقد سبقته السيدة "**جيفورد**" إلى النزول على أن تنتظره في السيارة .

والتقت في الفناء بالسيد "**أبرناذي**" ومكتبه بالعمارة نفسها ، فخرجا معا

إلى الرصيف وهما يتحدثان عما وقع أخيرا للسيد "**أبرناذي**" وضياع عقد "**ستار فلاور**" .

كانت الساعة الخامسة والرصيف مزدحما بكتبة المؤسسات التجارية المنصرفين من أعمالهم ، ولكن سيارة "**هيمرز**" كانت ظاهرة للسيدة "**جيفورد**" و"**أبرناذي**" ، وقد جلس "**توني**" أمام عجلة القيادة . بيد أنهما كانا مستغرقين في الحديث فلم ينتبها إلى ذلك الشخص الذي تسلل بين الجماهير إلى السيارة، ولم يتنبها إلا على صوت الطلق النارى فالتفتا وإذا بهما يلمحان ذلك الشاب الأشقر ينسل هاربا .

صرخت السيدة "**جيفورد**" ، وركض "**أبرناذي**" على الرصيف صائحا ، فالتفتت نحوهما الأبصار ، وتمكن الشاب من الاختفاء بين جماهير المارة . وانقضت بضع دقائق قبل أن ترى السيدة "**جيفورد**" السائق "**توني**" منكفئا على عجلة القيادة ، والدم يسيل غزيرا على جانب وجهه . فصاحت ثانية وخرت مغشيا عليها .

وبعد أن تفرقت الجماهير ، أعيدت السيدة "**جيفورد**" إلى الوعي ، ثم اجتمع شاهدا هذا الحادث الأليم و "**رنزو هيمرز**" والمفتش "**جاريتي**" و "**دونوفان**" بدائرة البوليس .

وكانت السيدة "**جيفورد**" قد استردت حواسها تماما فقالت :

– ذلك الرجل . . محال أن أنسى وجهه . أليس هو آخر من رأيت قبل أن يغمى عليّ ؟ إنه نفس الرجل الذي سرق لآلئي ، ومحال أن أنساه .

وقال "**أبرناذي**" إن شخصية الرجل لا محل للشك فيها على الإطلاق فقد سبق أن رأى وجهه في مرآة السائق عندما خدره في سيارته . وسرق منه عقد "**ستار فلاور**" .

أما السيد "**هيمرز**" فلا يجهل سبب قتل سائقه الأمين ولا يساوره الشك في الباعث عليه ، فلقد نجح في الاهتداء إلى مكمن ذلك الرجل الذي يرمز إلى نفسه بالحرف "ن" .

ووقف "**هيمرز**" عن الكلام قليلا ليزيد من وقع حديثه في نفوس السامعين، ثم استطرد يقول : إنه وإن كان هذا يحز في نفسه فإنه قد رابه بعض تصرفات ابنته "**بوبي**" في الفترة الأخيرة وخامره الظن بأن لها بعض الصلة بالمجرم ، فعهد برغمه إلى "**توني**" بمراقبتها من حيث لا تشعر ، وكان المرحوم لا يشق له غبار في مراقبة الحركات واقتفاء الآثار . ورآها "**توني**" عدة مرات تذهب إلى ركن معين في أحد الشوارع حتى تأتي سيارة فتركبها .

واستطاع "**توني**" بعد ظهر اليوم أن يتبع السيارة إلى وجهتها ، وهو يعرف هذا لأن "**توني**" اتصل به تليفونيا من هناك وإن لم يخبره بموقع ذلك المكان .

وهنا سار "**دونوفان**" إلى النافذة ووقف ينظر منها ساهما مفكرا ، وقد أسقط في يده ولم يعد أمامه سبيل للتأويل والتدليل والتعليل أمام هذه الأدلة الحاسمة . إن هذا الرجل "ن" سفاح أثيم !

وتهيأ الحاضرون للانصراف فدنا "**هيمرز**" من "**دونوفان**" قائلا :

– أريد أن تصحبني إلى بيتي الريفي فسيكون هناك اجتماع لنا نحن السبعة. إن علينا أن نضع خطة للعمل ، وأن نسرع كل الإسراع ، فقد يكون أحدنا الضحية التالية .

وأومأ "**دونوفان**" برأسه صامتا . إن "**هيمرز**" على صواب لقد حان وقت العمل..

في تلك الأثناء كان "**جون مون**" في البيت القديم يطالع في الصحف تفاصيل مصرع "**توني**" . وكان يعلم أنه قد تقع جريمة أخرى ، كما كان يعرف من يكون الضحية . ولكن ما الذي يستطيع عمله ؟ ليس في وسعه

الذهاب إلى البوليس . وليس في وسعه الذهاب إلى الضحية .

"**دونوفان**" .. هذا هو مناط أمله الوحيد .

بيد أنه قبل أن يضع خطته فوجئ بزيارة غير منتظرة ، وقرعت بابه "**بوبي هيمرز**" وهي لاهثة الأنفاس مشعثة الشعر ممتقعة الوجه .

◆◆◆◆◆

وسألها "**جون مون**" :

– كيف عرفت هذا البيت ؟

فأجابته "**بوبي**" متضجرة :

– وهل كنت تتوقع أن أظل جاهلة عنوانك أيها الأحمق ؟

إن "**جو**" لم يكد يصل بي إلى البيت في المرة الثانية حتى وثبت إلى سيارة وتبعته إلى هنا .

– يالك من فتاة ماهرة !!!

فأمسكت بذراعه قائلة :

– ليس هذا وقت الكلام . يجب أن تغادر هذا البيت حالا .. الآن .. في هذه الدقيقة . فلقد سمعت أبي يخبر "**دونوفان**" في بيتنا اليوم أن "**توني**" اقتفى أثري إلى هنا . وإذا كان قد قتل قبل أن يفضي إليه بموقعه فإنه واثق من الاهتداء إليه كما اهتدى "**توني**" .

قال "**جون مون**" في هدوء :

– فليحاول . ثم ماذا ؟

– إن الرجال السبعة سيجتمعون الليلة في بيتنا الريفي لعمل لا أعرف ما هو . ولكن ليس هذا كل ما عندي .

– إليّ بكل ما تعرفين .

– لقد شهدت السيدة "**جيفورد**" والسيد "**أبرناذي**" مصرع "**توني**" ، وهما يقسمان أنك قاتله . وأسوأ من ذلك أن "**دونوفان**" قد اقتنع بصدقهم .

– وهل تعتقدين أنني القاتل ؟

– لا أعرف ولا يهمني أن أعرف . ولكن يجب أن تسرع بالفرار .

– ألا يغير هذا من شعورك نحوي ؟

– بالتأكيد لا .

– شكرا يا "**بوبي**" إنني لم أقتل "**توني**" ولكنني أعرف قاتله .

فتعلقت بذراعه وقالت في لهفة :

– يجب ألا تضيع دقيقة واحدة !

– أجل .. ينبغي أن أسرع . وسأذهب الليلة إلى ذلك الاجتماع في بيتكم.

فعضت على شفتها حتى لا تصيح وقالت :

– ولكنك تلقي بنفسك في قبضتهم ؟

– أجل . سألقي بنفسي في قبضتهم معتمدا على الحظ في النجاة .

فرنت إليه الفتاة طويلا ثم قالت :

– إنك الزعيم وسأذهب معك .

– شكرا يا "**بوبي**" . إني مدين لك بكثير من الشرح والإيضاح ، وسأشرح لك ما غمض عليك في أثناء الطريق .

◆◆◆◆◆

كان سبعة رجال مجتمعين في ذلك الوقت في بيت "**هيمرز**" الريفي في "**لونج أيلاند**" . أما الثامن وهو "**دونوفان**" فلا يكاد يعد منهم ، إذ كان منطويا على نفسه مستغرقا في التفكير لا يفوه بكلمة إلا إذا سألوه عن شيء فيجيب في اقتضاب .

سبعة رجال ليس بينهم رابطة سوى أنهم اجتمعوا في الماضي على السرقة والاحتيال ، ويجتمعون الآن لأنهم في أشد الخوف من إحدى ضحاياهم ، وإن كنا– إنصافا للحقيقة – نستثني منهم واحدا .

وقد اجتمعوا في غرفة المكتبة ، وهي غرفة أنيقة فخمة تشرف مباشرة على الحدائق الغناء التي تترامى حول البيت . وخاطبهم "**رنزو هيمرز**" قائلا :

– إنني أشدكم تأثرا وأفدحكم خسارة من جراء جرائم هذا الرجل ، فقد سلبكم كثيرا من النفائس ، أما أنا فقد فقدت زوجتي . والمال قد يعوض ، ولكنها لن تنهض من قبرها . وما أشك قط أن الرجل مجنون .

فقال "**دونوفان**" في نفسه :

– مجنون .. أجل .. إن هذا هو التعليل المعقول الوحيد لجرائمه ..

ومضى "**هيمرز**" في حديثه قائلا :

– ويظهر أن هذا الرجل يعتقد أن له ثأرا شخصيا عندنا نحن السبعة . وقد قتل اليوم سائقي "**توني**" ، وقد يقتل غدا واحداً منا .

وهنا تحولت أبصار المجتمعين فجأة إلى الشاب "**ولفريد هيوم**" ، إذ غاض من وجهه الابتسام وراح ينظر من فوق كتفي "**هيمرز**" إلى ناحية أخرى من الغرفة وقد ارتسمت على وجهه آيات الرعب والهول .

واتجهت الأنظار إلى تلك الناحية ، فرأوا في أحد أبواب الشرفة شابا أشقر شاحب الوجه متوقد العينين وبيده غدارة .

وعندما نظروا إليه انفجر ضاحكا .. ضحكة مروعة هائلة ثم رأوا " **هيمرز**" يستوي واقفا وهو يهتز اهتزاز القصبة أمام العاصفة ، وقد امتقع وجهه ، وجحظت عيناه . وأشار بيد مضطربة إلى الشاب الواقف في باب الشرفة وهو يصيح بصوت أجش مختنق :

– إنك لست هناك ! لا يمكن أن تكون هناك ! إنك ميت .. ميت منذ سبع سنين! إني واثق من ذلك .. فقد رأيتك .. وقتلتك !

◆◆◆◆◆

كان في وسع ذلك الشاب أن يرديهم برصاص مسدسه دون أن يستطيعوا حراكا فلقد غمرتهم جميعا موجة طاغية من الدهشة والذهول حتى "**دونوفان**" الذي كان يعتقد أن الرجل الواقف في باب الشرفة في عداد الموتى .

وانقطعت تلك الضحكة المدوية الرهيبة فجأة ، وسقط الرجل على الأرض غائبا عن الوعي إذ سددت إليه لكمة قوية ..

ثم ظهر في مكانه شاب آخر ، رشيق الجسم ، متوسط الطول ، شاحب الوجه، مشعث الشعر . وخطا إلى الغرفة فأدرك " **دونوفان** ". فجأة أن هذا هو " **جون مون** " .. الرجل الذي يرمز إلى نفسه بالحرف " ن " كان " **دونوفان** " يعرف من هو ، فلقد رآه قبل ذلك ثم أفاق " **أبرناذي** " من ذهوله وهب واقفا على قدميه وهو يهتف :

– ها هو ذا ! هاهو ذا الرجل الذي سرقني ، هذا هو ذا الوجه الذي رأيته !

فقال " **جون مون** " في هدوء :

– نعم ، ولكنه ليس وجه الرجل الذي قتل سائق " **هيمرز** " ؟

– كلا .. كلا .. إن القاتل هو الرجل الآخر .

وأشار إلى الشاب المستلقي على الأرض وقال " **جون مون** " :

– لست قاتل السائق " **توني** ، ولا يد لي في مقتل زوجة " **هيمرز** " أكثر مما لهذا الشاب المنكود المجنون .

ثم انثنى إلى " **دونوفان** " بابتسامة مودة وقال :

– لقد وعدتك أن أضع بين يديك قاتل " **دوروثي هيمرز** " و "**فلورنس ستار** " و"**ليون مارتيلي** " .

ثم بدت في وجهه سمات الجد والصرامة وأردف قائلا :

– إنه "**رنزو هيمرز** " !

فاستجمع " **هيمرز** " قواه وصاح :

– هذا إفك وبهتان . ولقد كنت في النادي طوال الوقت . إنك رأيتني هناك يا"**هيوم** " ، وكذلك رآني " **ماك جي** " .

وابتسم " **جون مون** " ابتسامة ساخرة وهو يقول :

– إذا كنت يا " **دونوفان** " بعد ظهر أحد الأيام في ناديك ورأيت أحد معارفك أكثر من ست مرات ، وشهد بواب النادي بموعد حضوره وانصرافه ، فهل تتردد في القسم أنه لم يغادر النادي لحظة ؟

أجاب " **دونوفان** " :

– بلا ريب .

فالتفت " **جون مون** " نحو " **هيمرز** " قائلا :

– هذه هي الخطة التي اتبعها "**هيمرز**" تماما . لقد كنت تعلم أن زوجتك تجتمع بـ" **مارتيلي** " في ذلك البيت إذ وشت بها إليك " **فلورنس ستار** " و كنت تعلم أنها ذاهبة بعد ظهر ذلك اليوم للالتقاء هناك بخليلها ، فتعمدت التحدث إلى بواب ناديك كي يذكر جيدا ساعة وصولك ، كما رحت تتصيد الأصدقاء وتنبههم إلى وجودك في النادي ، وبعد ذلك انسللت من باب صغير يفتح على ممر السيارات حيث قابلك " **توني** " بسيارتك وذهب بك إلى البيت الذي سبقتك إليه زوجتك .

ولا أدري هل كنت تعتزم عند ذهابك إرغامها على طلاق لايثير من حولك

فضيحة تتناولها الصحف ، أم كنت تعتزم قتلها وإن لم تستعد لذلك . ولكنك وجدتها هناك غائبة عن الوعي ، فانتزعت حبل ثوب حمام كان معلقا في الغرفة وخنقتها به . وكنت واثقا مما وقفت عليه من أحوال البيت وسكانه أنه يكون خاليا في ذلك الوقت ، فمضيت تفتش الغرف لتقتل " **مارتيلي** " ولكنك لم تجد أحدا . وهكذا عدت إلى ناديك . ولعلك لم تغب عنه أكثر من ثلاثة أرباع الساعة وأخذت تلقى الأصدقاء الذين كنت تتحدث إليهم من قبل ، فكانوا لا يترددون في القسم بأنك لم تغادر النادي قط .

ولكنك كنت تخشى أن تشي بك " **فلورنس ستار** " ، فلما اختفت أرسلت في أثرها سائقك " **توني** " . ولما اهتدى إلى مسكنها ذهبت إليه ، ولم تكد المنكودة تفتح الباب حتى ضربتها بمقبض عصاك ثم خنقتها .

وكنت تعلم أن " **ليون مارتيلي** " زار الفتاة ، كما كنت تعلم أنها كتبت إليه رسالة فانتظرت حتى تلقى تلك الرسالة ثم قتلته أيضا .

وحدثت إذ ذاك حركة لم يفطن إليها سوى " **ولفريد هيوم** " بعد فوات الفرصة لمنعها . فقد عاد الشاب المستلقي على الأرض إلى وعيه والقوم في شغل عنه بحديث " **جون مون** " . ثم مد أصابعه وأخذ المسدس الذي سقط من يده وانتصب فجأة وراح يطلق على " **هيمرز** " الرصاص وهو يصيح :

– لقد انتظرت طويلا .. طويلا .. طويلا .. وخر "**هيمرز**" على الأرض ميتا من أول رصاصة ، ولكن المجنون مضى يطلق الرصاص على جثته الهامدة حتى أفرغ مسدسه .

وأفلت المسدس من بين أصابعه ، وراح يتلفت في الغرفة قائلا :

– زوجتي .. يجب أن أعود إليها . زوجتي وابنتي ..

وهتف "**ولفريد هيوم**" .

– يا إلهي ! لقد نسي كل ماحدث له . ولكن الآن .. امسكوه !

بيد أن المنكود خر مغشيا عليه قبل أن يتحرك أحد منهم فقال "**جون مون**" :

– يجب أن يوضع في مكان مأمون قبل أن يفيق من غشيته فإنه لا يزال شديد الخطر . ولكنه قد أنفذ الانتقام الذي جعله نصب عينيه منذ فر من مستشفى الأمراض العقلية في "**فرنسا**" .

قال "**دونوفان**" :

– هذا محال . فإن الرجل الذي كان في المستشفى هو "**جون بورتر**" .

فهز "**جون مون**" رأسه في تمهل قائلا :

– كلا يا "**دونوفان**" ، فهذا هو الذي حجب عنك الحقيقة .

إن الرجل الذي كان في المستشفى .. هو "**جون كازاليس**" .

◆◆◆◆◆

غشي القوم سكون عميق . ثم وضع "**دونوفان**" يده على كتف "**جون مون**" وغادر الغرفة البوليس السري العظيم واللص الشريف جنبا إلى جنب .

وما كاد الباب يغلق خلفهما حتى التفت "**دونوفان**" إلى صاحبه قائلا :

– إني لم أكد أراك الليلة تدخل من باب الشرفة حتى أيقنت أنك صاحب تلك الأعمال . وكثيرا ما بدا لي فيما مضى أنك لابد أن تكون "ن" ولكني كنت أعود فأرى أن هذا مستحيل لاعتقادي بأنك نزيل بمستشفى الأمراض العقلية . وقد وقفت الآن على جانب من الحقيقة ، فهلا أفضيت إليّ ببقيتها؟

أجاب "**جون بورتر**" أو "**جون مون**" :

– سأخبرك بكل ما خفي عنك . فلنجلس . إن ذلك المنكود ...

فقال "**دونوفان**" :

– لقد كنت أظنه ميتا ، ولذلك اختلط عليّ الأمر . كنت أعتقد أن "**كازاليس**" ميت وأنك مجنون .

وكان "**هيمرز**" يعتقد كذلك أنه ميت ، وعلينا أن نرجع إلى الوراء سبع سنين. . إلى الليلة التي جاء فيها إلى هنا "**جون كازاليس**" ليسوي حسابه مع "**هيمرز**" وانقطع أثره ..

فقال "**دونوفان**" :

– ماذا حدث له ؟ أتعرف عن هذا شيئا ؟

– عرفت أكثره من عبارات متفرقة كان يفوه بها المنكود من حين إلى آخر ، ومما وقفت عليه بعد البحث والاستقصاء .. لقد جاء إلى هنا ، ولكن "**هيمرز**" أبصر به قبل أن يصل إليه ، وقد سمعت ما قاله "**هيمرز**" الليلة "إنك ميت .. فقد قتلتك" ..

وما كنت أعرف قبل ذلك أهو "**هيمرز**" أم "**توني**" الذي سدد إلى الشاب الضربة التي صرعته .. على أن "**هيمرز**" اعتقد أنه مات ، ولم يكن ثمة سوى طريقة واحدة للتخلص من جثته ..

– الخليج الأسود ؟

– أجل .. وقد حملوه إلى الخليج الأسود وتركوه هناك معتقدين أن التيار سيجرفه ، ولكنهم لم يعلموا أن "**جون كازاليس**" كان لا يزال حيا ، وأنه سيعود إلى الرشد حين ترسو بالخليج سفينة من سفن تهريب الخمور .. وكان قبطان تلك السفينة طيب القلب ، وقد لقيته فيما بعد ووقفت منه على القصة بأكملها ..

ولم يشأ ذلك الرجل الكريم أن يترك الشاب المنكود يقضي نحبه في تلك البقعة المهجورة ، فحمله معه حيث أنزله على الشاطئ الفرنسي وهو يجهل لغة البلاد ، وليس له ما يستعين به من المال أو الأصدقاء ..

ولم أستطع الوقوف على كل ما عاناه المسكين في خلال تلك الفترة من الشقاء والهوان وقد فقد ذاكرته وخولط في عقله ولكن بعض الأمريكيين عثروا عليه أخيراً وهو يوشك أن يهلك جوعاً وبردا ، ووصل إليّ أمره فلقيته وعرفته في الحال ..

وكنت حين لقيته قد فقدت والديّ كليهما على أثر تلك الكارثة المالية التي حدثت وأنا أدرس في "**باريس**" .. وعدت بعد موت والديّ إلى "**فرنسا**" لأبيع ما كنت قد جمعت من الكتب والصور والأثاث لكي أستعين بثمنه على إيجاد عمل أعيش منه، فلما علمت بما أصاب "**جون كازاليس**" أجمعت رأيي على أن أصير .. الرجل الذي يرمز إلى نفسه بالحرف (ن) ..

وفي سبيل إنفاذ هذا العزم أدخلت "**جون كازاليس**" إلى مستشفى للأمراض العقلية تحت اسم "**جون بورتر**" ، وبدأت في أعمال الجريمة ..

قال "**دونوفان**" مبتسما :

– لقد وفقت في ذلك أعظم التوفيق ..

– لا تنس أنني كنت أتخصص في دراسة الإجرام ، ولكني صرت من كبار المجرمين بدلا من أكون من كبار العلماء ..

– لم يبق إلا كيفية تصرفك في الأموال التي حصلت عليها ، وقد وقفت على ذلك من "**مولي كازاليس**" ..

فقطب الشاب جبينه قائلا :

– ألا ترى من الخير يا "**دونوفان**" أن تظل المسكينة جاهلة بحقيقة أمر زوجها؟

ليس ثمة من أمل في شفائه ، والرأي عندي أن يرسل إلى إحدى المصحات، بينما تمضي زوجته في الطريق الذي رسمته لنفسها .

قال "**دونوفان**" :

– **إني أتفق معك ولك أن تعتمد عليّ في ذلك .**

– لم يبق إلا سؤال واحد : ماذا تريد أن تصنع بي ؟ لقد أتممت المهمة التي أخذتها على عاتقي ، فأخذت من المجرمين السبعة كل ما غصبوه ، وأعدت إلى الضحايا كل ما سلب منهم ظلما وعدوانا . ولا أنتظر منك إلا أن تسلمني إلى يد العدالة .

فرمق البوليس السري اللص لحظة ثم نهض وصافحه قائلا :

– أشكرك على ما فعلت في سبيل إماطة اللثام عن قاتل "**دوروثي هيمرز**" والضحيتين الأخريين .

ثم سار إلى إحدى النوافذ وأولاه ظهره وهو ينظر إلى صورة على الجدار المقابل للنافذة وقال :

– سأضطر إلى انتحال مختلف الأسباب للمجتمعين في الغرفة المجاورة ، ولكني سأكون في الخمس الدقائق التالية مستغرقا في تأمل هذه الصورة الرائعة فلن أشعر بشيء مما يجري خلفي . أما بعد ذلك فسيكون من واجبي مطاردتك .

فابتسم "**جون مون**" وانحنى محييا وهم بالانسلال من أحد الأبواب المفضية إلى التراس ولكن "**دونوفان**" قال فجأة دون أن يدير إليه رأسه :

– قف لحظة . لديّ سؤال آخر . لماذا اخترت الحرف "ن" توقيعا لك ؟

أجاب "**جون مون**" من الباب :

– كنت أظنك عرفت ذلك .

ثم أردف وهو يغيب في الظلام :

– إنه الحرف الأول من اسم "نمسيبي" إلهة الانتقام .

◆◆◆◆◆

أسرع "**جون مون**" في حدائق "**هيمرز**" التي شملها الظلام نحو الطريق حيث كان "**جو**" في انتظاره بالسيارة . وفيما هو يمر بجانب بعض الأغصان الملتفة الكثيفة برز شبح أمامه . فنظر إليه "**جون مون**" ثم مد يده قائلا :

– لقد كنت أرجو أن تسنح لك الفرصة لتوديعي .

فأجابه "**ولفريد هيوم**" وهما يسيران معا :

– سأسير معك إلى نهاية الحدائق ثم أقفل راجعا .

وقال "**جون مون**" في صوت متهدج :

– لقد أسديت إليّ من المساعدات مالا أستطيع وصفه .

وكان ما رويته لي عن غيرة "**هيمرز**" الجنونية أكبر دليل لي إلى معرفة سر الجريمة .

– يسرني أن استطعت مساعدتك ، ولكننا صديقان منذ زمن بعيد ، وكان يخالجني الظن قبل أن ألقاك في تلك الليلة بأنك صاحب تلك الرسائل لما أعرفه من شغفك بدراسة الإجرام . ولم يدهشني أن تتخذ الجريمة وسيلة إلى رد الحقوق إلى أصحابها .

وبلغا طرف الحديقة حيث كانت السيارة في الانتظار فوقفا وقال

"**هيوم**" :

– علام عولت الآن ؟

– الآن ؟ إنني لا أزال هاربا من العدالة . ولكني على وجه الأرض طليق من القيود وسوف نلتقي ثانية .

وتصافحا في صمت ، ثم سار "**جون مون**" إلى السيارة وأخذ مكانه فيها .

ولم تكد السيارة تنطلق في طريقها حتى شعر أنه ليس وحده في المقعد الخلفي ، فقد قبضت عليه يد صغيرة باردة ، والتفت مسرعا ورأى في الظلام وجه "**بوبي هيمرز**" .

– يا لله ماذا تفعلين هنا ؟

أجابت همسا :

– كان لابد لي أن أراك مرة أخرى . .

فشد على يدها قائلا :

– إنك تعرفين ما حدث . . هناك في البيت ؟

– لقد كنت في الشرفة طوال الوقت وسمعت كل ما قيل في الغرفة ولكني لم أكن في حاجة إلى سماع ما أفضيت به إلى "**دونوفان**" فإني أعرفه .

– أكنت تعرفين أنني "**جون بورتر**" ؟

– أجل . لقد نسيت أن أمك وأمي كانتا صديقتين ، ولم تعلم أن لدي صورة لأمك ، وكان في وسعي من هذه الصورة أن أعرفك على الرغم من كل تنكر . وكان ينبغي أن تعلم كذلك أن اسم "**جون مون**" يكفي للدلالة على شخصيتك ، فقد كان اسم أمك "**لونا**" ، وكلتا الكلمتين "**لونا**" و "**مون**" معناهما واحد . . وهو القمر !

وأردفت الفتاة في حزن :

– إني لا أحب العودة إلى ذلك البيت فليتك تأخذني معك .

أجاب "**جون**" :

– كلا يا "**بوبي**" . إنك الآن صاحبة تركة "**هيمرز**" ، ولعلك تقدرين ما عليك من المسؤولية أجابت :

– أجل . . إني أقدرها ولكن أنت .

– سأكون دائما طريد العدالة . . لقد اخترت هذا الطريق طائعا مختارا ، وسأمضي فيه قدما .

وهنا لاحت أنوار القرية فأوقف "**جو**" السيارة قريبا من المحطة ، ونزلت "**بوبي**" وهما يتهامسان بكلمة "الوداع" .

وبعد هنيهة انطلقت السيارة في سبيلها وقد وقفت الفتاة ممتقعة الوجه تشيعها بنظرات اللوعة والأسى .

وظلت صورة هذه الفتاة ماثلة في خاطر "**جون مون**" بعد أن غابت عن بصره بزمن طويل . .

أما "**دونوفان**" فقد عاد إلى ذلك البيت الذي خيم عليه الموت والحزن وجلس مفكرا ، لسوف يلقى ذات يوم في مكان ما ذلك الرجل الذي يوقع بالحرف (ن) .

تمّت بعون الله